العقيدة القبورية

شرك القبور والاستغاثة بالأموات

تأليف

خالد بن علي المرضي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي، خالد علي

العقيدة القبورية./ خالد علي الغامدي.- جده، ١٤٣٦هـ.

١١٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٧٧٣٨ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- التوسل ٢- البدع في الإسلام ٣- العقيد الإسلامية - دفع مطاعن أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ٣٨٠٥/ ١٤٣٦

رقم الإيداع: ٣٨٠٥/ ١٤٣٦

ردمك: ٧ - ٧٧٣٨ - ٠١ -٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف: ٤٢٦٦١٠٤ - ٤٢٦٦٩٦٣ فاكس: ٤٢٥٧٩٠٦

www.facebook.com/DARATLAS

twitter: @ dar-atlas

dar-atlas@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد :

فهذا رسالة في العقيدة القبورية المتعلقة بشرك القبور وطلب الشفاعة من الأموات وغيرهم والعقيدة الشركية في الشفعاء والوسطاء ، كتبتها قصدا للنصيحة لهذه الأمة المرحومة أمة نبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين ، فأقام الله به التوحيد وهدم به براثن الشرك وحذر أمته من الشرك وما يقرب له خصوصا في باب القيور وباب الشفاعة ، إلا أن ما حذر منه تجاوزه كثير من أمته فوقعوا في وسائل الشرك حتى غرقوا في أوحاله، فلحقت فئام كثيرة من أمته بالمشركين وعبدت الأوثان واتخذت من القبور أوثاناً تعبد ومساجد تقصد وعلى رأسهم الروافض والصوفية ، ووقع ما أخبر به النبي ﷺ من رجوع الشرك في أمة محمد والله المستعان .

هذا وإني قد جعلت تبويب هذه الرسالة كما يلي :

الباب الأول : شرك القبور

الباب الثاني : شرك الشفعاء والوسائط

الفصل الأول : حقيقة الشفاعة

الفصل الثاني : الوسائط

نفع الله بها وجعله خالص له والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

كتبه

أبو علي خالد المرضي الغامدي

بديار غامد من أرض الحجاز

الباب الأول : حقيقة شرك القبور

عقيدة القبورية (شرك القبور)

المسألة الأولى : تعريف القبورية :

القبورية نسبة للقبر، وهذا مصطلح يطلق على عبادة القبور والغلو فيها وتعظيمها وجعلها أوثاناً تعبد من دون الله وصرف العبادة لها.

والقبورية كما أنها تطلق على الأفعال الشركية ، كذلك تطلق على أصحاب هذه الأفعال ، مثل ما يقال في اللغة الطهور فعل الطهارة والماء المتطهر به .

والقبوري : يطلق على من اتصف بهذه الصفة (القبورية).

وذلك إذا وقع في الشرك بالقبور وعبدها من دون الله ﷻ.

غلاة القبورية : هم من يشرك في الربوبية ويعتقد أن للقبور القدرة الكاملة والتدبير.

الثانية : أسماء أصحاب هذا الدين والمذهب :

عبّاد القبور – القبورية – القبوريون – المقابرية – مشركو القبور .

الثالثة : القبورية دين : القبورية دين المشركين بالقبر العابدين له، الذين اتخذوه إلهاً ومعبوداً ووثناً يصرف له كل العبادات من دون الله تعالى، وكل عبادة عُبِد الله بها فقد عبد بها القبوريون القبر.

فائدة : القبورية داخلة في الوثنية :

ودليل ذلك قوله ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) مالك وأحمد.

الرابعة : المقارنة بين دين الله وتوحيده ﷻ وبين دين القبورية :

القبورية دين يضاد دين الله ﷻ ويضاد الملة الحنيفية الإبراهيمية القائمة على توحيد الله بالربوبية والألوهية وينقض الشريعة والسنة المحمدية ، فالقبورية دين قئم على الشرك ويضاد التوحيد وينقضه من أصله من جميع الوجوه .

الخامسة : الفرق بين القبورية وعبادة غير الله والشرك:

عبادة غير الله تكون على أوجه متنوعة ولمعبودات مختلفة كلها داخل في الشرك الذي منه القبورية والوثنية ، فعبادة غير الله تشمل عبادة القبور والأوثان والأصنام وعبادة النيران والثيران والكواكب والشمس والقمر والأموات من غير الذهاب لقبورهم، كما تشمل الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى الحكام الطواغيت.

وقد جعل البعض كل عبادة من دون الله قبورية فجعل عبادة الصالحين عن طريق الأصنام قبورية، مع أنها ليست عبادة لذات القبر، بل وجعلوا عبادة قوم موسى للعجل من القبورية، وعندي أن هذا فيه نظر والصحيح ما ذكرته من كون القبورية نوع من أنواع الشرك ووجه من أوجه عبادة غير الله تعالى والله أعلم .

كما أن القبورية منها المتعلق بالألوهية والعبادة أي عبادة القبور من دون الله، ومنها ما هو متعلق بإثبات الربوبية لها.

فالقبورية متعلقة بالشرك في الألوهية ، ومتعلقة بالشرك في الربوبية .

والشرك كما ذكرنا أعم من قولنا عبادة غير الله :

لأن الشرك منه ما هو متعلق بعبادة غير الله وهو ما يسمى بشرك الألوهية والعبادة، ومنه ما هو شرك في ذات الرب ﷻ إما بتعطيله عن ربوبيته وصفاته أو بتمثيله بخلقه ونسبة النقص له أو بتمثيل خلقه به وإعطائهم بعض صفات الله أو نسبة شيء من أفعال الربوبية لهم .

عليه فعبارة عبادة غير الله أخص من عبارة الشرك وداخلة فيه دون العكس.

والقبورية نوع من أنواع الشرك، وبينها وبين شرك العبادة عموم وخصوص.

السادسة: القبورية نصف الشرك : يمكن تقسيم الشرك إلى قسمين :

الأول : شرك الأموات والقبور :

وذلك بالشرك فيها من ناحية الألوهية بعبادتها ودعائها والاستغاثة بها .

وكذا إشراكها في الربوبية وذلك بإعطائها صفات وخصائص الرب كالقدرة المطلقة على النفع والضر والتصرف في الكون وتدبير الخلق وعلم الغيب .

الثاني : شرك الأحياء والقصور والدستور :

وذلك بطاعة العلماء والأمراء والطواغيت في تحليل الحرام وتحريم الحلال وتقديم أمرهم على أمر الله والتحاكم إلى من يحكم بغير ما أنزل الله ويسن القوانين ويشرع الدين الذي لم يأذن به الله .

وهذا الشرك حاصل في الألوهية بالطاعة والتحاكم لغير الله .

وفي الربوبية بتشريع الدين والتحليل والتحريم والحكم بغير ما أنزل الله .

يعد شرك الدعاء وعبادة الموتى نصف الشرك من جهتين:

١- نصف الشرك من جهة كونه مقابلا لشرك التشريع والحكم والدستور .

٢- نصف الشرك من جهة كونه مقابلا لشرك الفلاسفة وعباد الكواكب.

قال ابن تيمية : (الشرك في بني آدم أكثره على أصلين :

أولها : تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها ، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون وهو شرك قوم نوح .والثاني: عبادة الكوكب) .

الرد على المنطقيين ٢٨٥ ، قاعدة التوسل والفتاوى ١٧/ ٤٦٠.

السابعة : طرق ومراتب وأوجه عبادة البشر:

١- عبادة الأحياء بدعائهم وتعظيمهم وإثبات الربوبية والألوهية لهم أو التحاكم إليهم وطاعتهم .

٢- عبادة الأموات ودعاؤهم من دون الذهاب لقبورهم والوقوف عندها ولا جعل الأوثان والتماثيل لهم، وإنما تكون عبادتهم باستحضارهم في القلب كمن يعبد الرسول ﷺ وعيسى عليه السلام والحسين.

٣- عبادة الأموات بعد وضع الأصنام والتماثيل لهم وتصويرهم، من دون الذهاب لقبورهم.

٤- عبادة الأموات عند القبور وهذا بدعة في هذه الأمة أول من فعلها الرافضة لعنهم الله في آخر القرن الرابع الهجري في عهد الدولة البويهية والفاطمية والقرامطة ولم يسبقهم أحد إليها، ثم انتشرت في هذه الأمة المحمدية في الصوفية خاصة، وتسموا بعد ذلك بعباد القبور أو القبورية .

الثامنة : دعاء الأموات أصل شرك العالم :

مخاطبة الأموات وسؤال حوائجهم هو أصل شرك العالم وعند الأمم جميعاً، وزادت هذه الأمة بعبادة الأموات عند قبورهم .

قال ابن القيم في المدارج: « طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة وهي أصل شرك العالم وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ، وهؤلاء أعداء الرسل والتوحيد ».

قال ابن كثير في تاريخه: (أصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها وعدم المغالاة في البشر) ١٠/ ٢٦٢ .

قال ابن القيم : (وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائبا منابه، وقائما مقامه وإلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إلهه) الإغاثة ٢/ ٢٢٠ .

قال ابن تيمية :(أصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظمين، فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، فهذا أول شرك كان في بني آدم وكان في قوم نوح) المجموع ٦/ ٢٥٥ .

التاسعة : القبورية واقعة لشيئين:

عبّاد القبور يصرفون عبادتهم لمعبودين اثنين :

١ - القبر ذاته ، بترابه وحجارته، وكم من قبر يعبد وليس فيه إلا كافر ملحد وربما حيوان، بل وعرفت قبور عبدت وليس فيها ميت أصلا ، ومن ذلك قبر الحسين في ثلاثة بلدان كل منهم يدعي أن هذا القبر المعبود هو قبر الحسين.

٢- المقبور فيه ، وهو المقصود بالمخاطبة والمناجاة والدعاء .

العاشرة : أن عبادة صاحب القبر عند قبره يعتبر عبادة للقبرويصير القبر وثناً :

ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) مالك وأحمد.

الحادية عشرة : يطلق على عابد صاحب القبر أنه عابد للقبر :

ووجه: أن الميت لا يسمع من يدعوه ولا يبصره ولا يقدر على إجابة الداعي، فهو في الحقيقة بمنزلة الجماد والتراب والأرض فالذي يعبد صاحب القبر عند القبر ويخاطبه في الحقيقة هو يخاطب التراب والأرض ولا يخاطب صاحبه لأن صاحبه لا يعلم به ولا يراه ولا يسمعه كما أخبر ﷻ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢ .

الثانية عشرة: دعاء القبر يجعله وثناً ومعبوداً وإلهاً :

القبر الذي يُعبد ويُدعى صاحبه ويُطاف به يصير القبر بذلك وثناً، والدليل على أنه يسمى وثناً قول النبي ﷺ:(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) رواه مالك وأحمد.

فأي قبر يُدْعى صاحبه ويطافُ به ويذبح له فإن هذا القبر يسمى وثناً ولو كان قبر ولي أو نبي .

الثالثة عشرة : حماية الله تعالى لقبر الرسول ﷺ فلا يعبد قبره:

لا شك في أن الرسول ﷺ يُعْبَد من دون الله، وذلك حين يدعى من دون الله ويشرك به ويعتقد أنه ينفع ويضر ويملك كل شيء، ولكن نفس قبره لم يعبد، لأنه لا يمكن الوصول إليه وقد أحيط بجدار وضعه عمر بن عبدالعزيز حين جدد بناء المسجد وأدخل الحجرات فيه، وكان قبل ذلك في الحجرة كي لا يبرز للناس، وهذا حفظ من الله تعالى له فلا يستطيع أحد عبادة القبر، ومن ادعى أنه يطوف بقبره أو يسجد له فنقول له أنت كمن يطوف بالمسجد أو يسجد للمسجد أو جهة المدينة أو الجزيرة العربية هل يعد هذا طائف بالقبر وساجد له ؟ هذا لا يعد طائفاً بالقبر ولا ساجدا له عند جميع العقلاء، فمنع الله كل مشرك به من الوصول إلى قبر رسوله فلا يصل إليه من يريد أن يعبده وبذلك انتفت عبادة قبره واستجاب ربه دعاءه حين قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) رواه مالك وأحمد ، فتأمل ذلك .

الرابعة عشرة : القبورية شركهم في الألوهية والربوبية :

الأول : من يقع منهم في شرك الألوهية :

وذلك بصرف العبادة للقبور من دعاء وذبح وسجود للميت والقبور.

الثاني : من يقع من عباد القبور في شرك الربوبية :

وذلك بنسبة التصرف في الخلق والرزق وتدبير الأمور وملك النفع والضر وعلم الغيب لغير الله من الأموات، وأن الأموات من الأولياء المقبورين يفعلون كل ما يفعله الله بدون استثناء وأن الله وكلهم بكل شيء وأذن لهم في كل أمر، وكثير من القبورية وقعوا في هذه الدرجة ويسمى أصحاب هذا القسم بغلاة القبورية .

حتى قال كفارهم : (لا يدق مسمار إلا بعد أن يأذن صاحب القبر البدوي) .

الخامسة عشرة: القبورية متعلقة بشرك التعطيل وشرك في التمثيل :

أما كونها من شرك تعطيل: فلأن فيها تعطيل الله من عبادته ومعاملته وكماله وتوحيده ووصفه بأنه لايرحم إلا بهؤلاء، ولايعلم ولا يقدر إلابتوصيل الوسائط المقربة عنده لمطلوبات داعيها وعابديها ، كما أخبر تعالى عنهم في سورة يونس .

وأما كونها داخلة في شرك تمثيل :

فلأن فيها تمثيل الخالق بالمخلوق، الذي يحتاج لواسطة، فلا يقدر ولايعلم ولا يرحم إلا بالواسطة، والمشفوع عنده يرجوها ويخاف من رد شفاعتها فلا إذن له فيها.

وتمثيل الميت بالرب المعبود ﷻ وأن هذا المخلوق يستحق أن يعبد ويدعى .

السادسة عشرة : درجات مخالفات وبدع القبورية : بدع القبور على قسمين :

الأولى : الكفرية المخرجة من حظيرة الإسلام كالذبح لها والطواف بها ودعائها والسجود لها .

الثانية : البدعية المحرمة وما هي شرك أصغر وبدعة غير مكفرة ، لكنها وسيلة للكفر الأكبر كالبناء على القبور ووضع القباب والأنوار عليها.

السابعة عشرة: العبادات التي يصرفها المشركون للقبور :

١- الدعاء ، دعاء القبر وصاحبه من دون الله وهذا أعظم العبادات وأكثرها .

٢- السجود للقبر والركوع له والقيام له والصلاة له .

٣- إرادته وقصده والتوجه إليه والخشوع عنده والخضوع والتذلل له .

٤- الاستغاثة بها وسؤالها والتوجه لها والافتقار والمسكنة والإخبات .

٥- الذبح للقبر.

٦- النذر للقبر والتصدق له .

٧- الخوف من القبر وصاحبه والرهبة منه وخشيته.

٨- رجاء القبر والرغبة إليه.

٩- التوكل على القبر .

١٠- محبة القبر والمحبة فيه والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله .

١١- التوبة إليه .

١٢- تعظيمه وإجلاله وعدم رفع الصوت عنده .

١٣- ذكره وحمده وشكره وتسبيحه وتهليله .

حتى قال بعض القبورية: لا يحصل شيء إلا بإذن صاحب هذا القبر ولا يستحق العبادة غيره وعبادته عبادة لله، وقول أحدهم مخاطباً صاحب القبر وقد مات ابنه : أما الله فرأيت ما فعل ولم يبق لي إلا أنت فأنا في حسبك.

فلازم قولهم لا إله إلا هذا الميت ، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

١٤- الحج للقبر وجعله منسكاً وسموه بحج المشاهد مضاهاة لحج المشاعر.

١٥- الطواف به .

١٦- الاعتكاف عنده ومجاورته والإقامة عنده .

١٧- التبرك بالقبر والتمسح به وتقبيله وتمريغ الوجه بترابه والأخذ منه.

١٨- حلق الرأس والتقصير عنده .

١٩- لبس نوع من الملابس مثل لباس الإحرام عند زيارة القبر.

٢٠- الطهارة عند زيارة القبور .

٢١- جعل أرض القبور كالحرم لا يصاد فيها ولا يقطع شجر حولها .

٢٢- الإقسام بها والاقتراع عندها والاستقسام بها وعندها .

٢٣- إخراج الصدقات وتوزيعها عندها .

٢٤- البناء على القبور ووضع القباب عليها ورفعها.

٢٥- تزيينها وتعطيرها وتبخيرها .

٢٦- وضع الأنوار والسرج والكهرباء عليها.

٢٧- تلبيسها وكسوتها وإسبال الستر عليها .

٢٨- بناء المساجد عليها .

٢٩- التبرك بالصلاة عندها.

٣٠- قصد دعاء الله عندها .

٣١- مداومة زيارتها وجعلها عيداً مكانياً وزمانياً.

٣٢- الحلف بها .

٣٣- اعتقاد أنها تعلم الغيب وتسمع وتبصر كل شيء .

٣٤- اعتقاد أنها تنفع وتضر وتملك النفع والضر والخير والشر.

٣٥- اعتقاد أنها تدبر الأرض والسماء وتتصرف في الخلق .

٣٦- اعتقاد أن الرب منحهم خزائن رحمته ومقاليد حكمه وأمره ونهيه.

والقاعدة : أن كل شرك وقع في الأرض فالقبوريون فعلوه مع القبور .

وأن كل عبادة أمر الله تعالى أن يعُبد بها فقد عبد بها القبوريون القبر.

الثامنة عشرة: مراتب البدعة عند القبور :

١- دعاء الأموات وهذا شرك وكفر .

٢- أن يتوسل بهم وهذا بدعة .

٣- أن يظن أن الدعاء عند قبورهم مستجاب ، وهذا أيضا بدعة.

التاسعة عشرة: درجات ومراحل تشريع وقوع الشرك وتسويغه :

١- ما زال الشيطان يوحي إلى الجهال ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجاب .

٢- ثم ينقلهم الشيطان من هذه المرتبة إلى الدعاء بهم والتوسل والإقسام بهم.

٣- ثم ينقلهم إلى دعائهم وعبادتهم وسؤالهم الشفاعة .

وجعل القبور وثناً يعلق عليه القناديل والستور ويذبح عندها .

٤- ثم ينقلهم إلى دعاء الناس إلى عبادتهم واتخاذه عيداً ومنسكاً .

٥- ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب ومنزلتهم .

العشرون: نشأة عبادة الأموات :

عبادة الأموات هو أول شرك وقع على الأرض، في زمن نوح حين عبد قومه وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا ودعوهم من دون الله وجعلوا التماثيل والأصنام لكل واحد منهم فعبدوا تلك الأصنام التي يعتقدون أنها صور أولئك الصالحين .

وفي كل الأمم حصلت عبادة الأموات حتى عند اليهود والنصارى، بل واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهم أول من أحدث هذه البدعة ولم تفعل قبلهم فكانوا يبنون المسجد على قبور الصالحين ويصلون في تلك المساجد ويتبركون بها فاتبعتهم هذه الأمة وفعلوا مثل ما فعل هؤلاء مع تحذير الرسول لهم ونهيه عن اتباعهم(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه.

إلا أن أولئك كانوا يبنون على القبور مساجد ولا يدعون القبور وهؤلاء غلوا في الشرك وعبدوا تلك القبور فزادوا في الكفر . ولم يثبت والله أعلم أن من سبق عبدوا القبور مثل هذه الأمة .

الحادية والعشرون:عبادة القبور بدعة رافضية لم تحصل إلا في هذه الأمة:

لم يكن فيمن سبق من يعبد القبور بل كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والأصنام والأوثان وهي عبارة عن صور ورموز غالباً لرجال صالحين قد ماتوا مثل أصنام قوم نوح وأصنام العرب كاللات وغيرها ولم يكن أحد منهم يذهب للقبر ذاته ويسجد له ويدعوه ويذبح له كما يفعل مشركوا هذه الأمة عباد القبور، بل كانوا إذا مات فيهم العبد الصالح صوروا له صورة وجعلوا له تمثالا فيتذكرونه ويعبدون الله إذا رأوه فإذا مضت عليهم أزمنة وأجيال عبدوا الصنم الذي هو صورة للميت.

كذلك أهل الكتاب كانوا يبنون المساجد على القبور ليتبركوا بها ويدعوا الله عندها ويعتقدون أن الصلاة عند القبر أفضل وأقرب لله وأعظم للأجر، ولم يبنوا المساجد على القبور ليعبدوا القبور ذاتها من دون الله كما يفعله مشركوا هذه الأمة. وبهذا يتبين أن القبورية ملة معاصرة ووليدة في هذه الأمة لم تحصل في أمة من قبل.

تنبيه : الفرق بين عبادة الأموات التي وقعت فيها الأمم وبين عبادة القبور :

لا يعارض قولنا ببدعية عبادة القبور وكونه من بدع الرافضة مع ما ذكرنا من عبادة الصالحين في قوم نوح واللات وهو رجل صالح وغيرهم ولا عبادة النصارى لعيسى واليهود لعزير، وذلك لأن المشركين السابقين عبدوا نفس الأموات، إما في تخيلاتهم بدون الذهاب لقبورهم أو بجعل تماثيل تمثلهم وأصنام تصورهم فيعبدوا تلك الأصنام والتماثيل، لكن لم يحصل منهم أنهم ذهبوا للقبر ذاته ليعبدوه كما يفعله القبورية من الرافضة والصوفية في هذه الأمة والله أعلم .

الثانية والعشرون: طوائف القبورية :

الأولى : الرافضة وبعض الزيدية . الثانية : الصوفية .

ولا يوجد قبورية عند المسلمين إلا في هاتين الطائفتين، كما أنه لا يوجد رافضي ولا صوفي إلا وهو قبوري يدعو غير الله ويستغيث بالأولياء والأموات .

قال ابن تيمية في الفتاوى ١/ ٦٧ : (والغلو في الأمة وقع في طائفتين :

طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء وأهل البيت الألوهية .

وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين).

الثالثة والعشرون: نشأة القبورية في أمة محمد ﷺ :

الذي أحدث بدعة عبادة القبور هم الرافضة عليهم لعائن الله، وهم الذين أدخلوا الشرك في هذه الأمة بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة بعد قيام دولتهم، دولة القرامطة في البحرين واليمن والعبيدية الباطنية في المغرب ومصر والبويهية في إيران والعراق وبقية الدول الرافضية، وبعد قيامهم نشروا ما سموه بالمشاهد التي هي القبور وبنوا القباب عليها ودعوا المسلمين لعبادتها، ونشروا ذلك وبعد سقوطهم قامت على إثرهم دول تأثرت بهم فأتت بالصوفية القبورية والعياذ بالله .

قال ابن تيمية : (وكان ظهور المشاهد وانتشارها وتعظيمها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة وفشت كلمة البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة) الفتاوى ٢٧/ ٤٦٥ .

وقال (كما أن بني بويه الرافضة ظهر في دولتهم بناء المشهد على قبر علي رضي الله عنه المزعوم بناحية النجف ولا يزال يعبد ويدعى ويطاف به) رأس الحسين ١٦٨ .

ومن أعظم الدول المتأخرة التي نشرت القبورية وتأثرت بالرافضة الدولة العثمانية ودولة المماليك قبلها وهم الذين بنوا القبة على قبر الرسول ﷺ سنة٦٧٨ .

الرابعة والعشرون: المقارنة بين سنة الرسولﷺ وحال القبورية مع القبور :

المقارنة بين دين الله وتوحيده وسنة الرسول ﷺ وهديه في القبور وما أمر به وشرعه وهدي أصحابه وعمل أهل التوحيد من أئمة هذه الأمة من السلف والخلف في المساجد والقبور وبين ما عليه عباد القبور وبيان سنتهم وحقيقة ديانتهم ، وبيان أن هدي القبورية وسنتهم وطريقتهم يناقض ويضاد هدي النبي ﷺ وأتباعه، فالقبوريون وقعوا في كل ما نهى الله ورسوله عنه وتركوا كل ما أمروا به وخالفوا كل ذلك فشتان بين المنهجين والطريقتين . وإليك ملخصه :

١- فالرسول ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها .

٢- ونهي عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيت الله ، ويعظمون المشاهد الشركية ويهجرون المساجد والشعائر الدينية.

٣- ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل.

٤- ونهى أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون عندها أياماً كاجتماعهم للعيد .

٥- ونهي عن تجصيصها وأن يبنى عليها وهؤلاء يبنونها بالآجر والجص والأحجار بل ويلبسونها الحرير حتى يضاهون بها الكعبة .

٦- ونهى أن يزاد عليها غير ترابها وهؤلاء يزيدون التراب والأحجار.

٧- وأمر بتسويتها وهؤلاء يرفعونها ويبنون عليها القباب والبيوت والمباني.

٨- ونهى عن الكتابة عليها وهؤلاء يكتبون عليها الأسماء والرقاع والدعاء وينحتون الألواح ويكتبون عليها.

فانظر إلى هذا التباين بين ما أمر الله وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

فهدي القبورية قائم على عبادة القبور بكل عبادة أمر الله بصرفها له ، منها:

١- تعظيم القبور وتفضيلها على المساجد وإهانة المساجد وتعطيلها وهجرها.

٢- النذر لها.

٣- الاعتكاف والعكوف عند القبور والخضوع والخشوع والبكاء عندها

٤- تعليق الستور واتخاذ السدنة لها .

٥- البناء على القبور وتجصيصها .

٦- وضع السرج والطيب عليها .

٧- فعل الصدقة عندها وإجراء الأوقاف عليها .

٨- الذبح لهم .

٩- زيارتها لأجل الصلاة عندها .

١٠- الطواف بها وتقبيلها وتعفير الوجه عليها .

١١- دعاء أصحابها من دون الله والاستغاثة بهم وسؤالهم .

١٢- حجها وقصدها وتسميته أعمالهم مناسك حج المشاهد .

١٣- حلق رؤوسهم عندها .

الخامسة والعشرون : حال عباد القبور ومنهجهم وسنتهم :

قال ابن القيم : (فلو رأيت هؤلاء المتخذين للقبور عيدا وقد نزلوا عن الدواب إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى يسمع لهم النشيج ورأوا أنهم أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبديء ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين وتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسران، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات، ثم انثنوا حول القبر طائفين تشبيها لهم بالبيت الحرام، ثم أخذوا بالتقبيل والاستلام كما يفعل للحجر الأسود، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود والتي لم تعفر بين يدي الله في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر والتقصير والحلق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضا وإذا رجعوا سألهم المخلفون أن يبيعوه ثوب حجة القبر، ولم نستقص جميع بدعهم إذ هي فوق الخيال ولا تخطر ببال وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح ومن بعدهم ...) إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٠ .

السادسة والعشرون : منهج السلف مع القبور والرد على شبهة القبورية :

لم يكن السلف يلتفتون للقبور ولا يظهرونها أو يعتنون بها، وأعظم دليل على ذلك : الجهل بمواقع قبور الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم في أنحاء الأرض وهذا يدلنا على مخالفة منهج القبورية لدين المسلمين من الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين والأئمة والقرون المفضلة، فهؤلاء على منهج المجوس والفرس الرافضة الزنادقة .

ومما يزيد الأمر برهاناً قبر دانيال زمن الفاروق عمر لما وجدوه في أرض تستر حين فتحوها أخفوا القبر حتى لا يتعلق الناس به ويدعونه ويتبركون به ويستغيثون به كما يفعله القبورية في زماننا، والخبر ذكره الطبري في تاريخه وابن كثير وغيرهم .

كذلك مما يزيد الأمر بيانا وظهوراً منهج الصحابة مع قبر الرسول ﷺ فلم يكونوا يزورونه إلا ما ثبت من فعل ابن عمر أنه يسلم عليه فقط وعلى صاحبه ولا يقف للدعاء ولم يثبت لا عنه ولا عن غيره مع كثرة ما نزل بهم، أنهم وقفوا عند قبره أو دعوه أو استغاثوا به وسألوه ورجوه، بل ولا حتى ذهبوا لقبره ووقفوا عنده أو سألوا الله عنده فضلا عن أن يكونوا سألوه واستغاثوا به، مما يدل على انقطاع عمله ﷺ وانتقاله من الحياة إلى الموت ومن ذلك قول أبي بكر ﷺ (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات) رواه البخاري ، وأن حياته البرزخية في قبره لا ترفع عنه حكم الموت والانقطاع عن هذه الحياة الدنيا المعهودة، وتلك الحياة لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله وتختلف عن هذه الحياة .

وأما ما ورد من بعض الخصائص والاستثناءات كسماعه من يسلم عليه ويرد عليه السلام وأنه يبلغ السلام فهو لا يعلم ذلك من تلقاء نفسه، وكذلك عرض أعمال أمته عليه واستغفاره لهم، فالأعمال تعرض عليه لا أنه يعلمها من نفسه، وهذا دليل على انقطاعه عن الحياة وأن استغفاره لا دليل فيه على جواز دعائه وطلب المغفرة منه، وإنما تطلب من الله مثل شفاعته يوم القيامة تطلب من الله، وأن من دعاه من دون الله وسأله فهو مثل من يسأل ويعبد اللات وعيسى ومثل الذين سألوا ودا وسواعا ويغوث وبقية الآلهة والأصنام التي ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى ولتشفع لهم .كما في صريح الآيتين ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ وغيرها. والمشركون زمن الرسل كانوا يعلمون أن الأصنام لا تملك النفع والضر ولا تخلق ولا ترزق فهم يعلمون أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزمر: ٣٨ وقررهم الله ذلك: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ النمل: ٦٢ وغير ذلك .

فلا حجة ولا برهان ولا مستمسك مع القبورية في فعلهم الشرك، ولا شك ولا ريب في كونهم كفاراً خارجين من ملة الإسلام، ولو ادعوا الإسلام وانتسبوا إليه وصلوا وصاموا أو انتسبوا للعلم والعلماء، فهم كفار مشركون بدعائهم الأموات من دون الله وطلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته ، ولا يجوز أن يعذروا بالجهل، فتأمل تفلح واسأل الله الهداية والثبات .

السابعة والعشرون : طرق عبادة القبور وطلب شفاعتها :

الطريق الأول: طريق العوام، وهم من يطلب من القبر وصاحب القبر أن يشفع له عند الله ويقربه عنده ويتوسط له ويتقبل منه حسناته ، وهذا حال معظم المشركين من عباد القبور وغيرهم .

الطريق الثاني : طريق الفلاسفة، ممن يعتقد أن القبر والصنم يحصل النفع منه والشفاعة بمجرد التقرب إليه والقرب منه، فالولي والقبر تنزل فيه بركة الله والفيض من الإله، والأرواح تفيض على من زارها لطلب الشفاعة والإغاثة والنفع منها وذلك بحسب يقين وتعلق الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض وهي بدورها تتلقى من الإله الأعظم وأن ذلك مثل الشعاع الذي ينعكس في المرآة من نور الشمس إذا وقع على جسم صقيل كالمرآة والماء ونحوه .

وسيأتي بيان ذلك عند الكلام عن مبحث الوسائط .

الثامنة والعشرون : زيارة القبور قسمان :

الأولى زيارة شرعية ، وهي التي يكون المقصود منها :

١- الاتعاظ والاعتبار وتذكر الآخرة وحصول الأجر بذلك .

٢- الدعاء للميت .

الثانية: زيارة بدعية شركية، وهي الزيارة لأجل الصلاة عند القبور والطواف بها والدعاء عندها والتبرك بها ودعائها والاستغاثة والتوسل بها .

التاسعة والعشرون : الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين :

قال ابن القيم: (فصل في الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين :

زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء :

تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ والإحسان إلى الميت بالدعاء له وإحسان الزائر إلى نفسه بإتباع السنة .

والزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبّاد الأصنام .

قالوا الميت المعظّم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح المزار، قالوا فتمام الزيارة على هذا الوجه أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه وقصده للميت، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت الأصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وإسراجها وبناء المساجد عليها، وهذا الذي نهى الرسولﷺ عنه وحذر منه وأراد إبعاد أمته عنه، وهذه هي الشفاعة الشركية التي بعثت الرسل بالنهي عنها وتكفير فاعلها، والقران مملوء بالرد على أهلها وإبطال مذهبهم كقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ الزمر: ٤٣) إغاثة اللهفان ٢٤٦ .

الثلاثون: مفاسد اتخاذ القبور أعياداً ومفاسد فعلهم :

١- أن ذلك أعظم وسيلة لحصول الشرك والوقوع فيه وعبادة القبور .

٢- مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد عليها .

٣- مشابهة عباد الأصنام .

٤- الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها والسرج .

٥- محادة الله ومناقضة شرعه.ومخالفة أمر الرسول وهديه .

٦- إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون عندها.

٧- عمارة المشاهد وخراب المساجد.

٨- تعظيم ما لم يأمر الله بتعظيمه حتى يحصل الإفتتان بذلك ، ومن هذا الباب الصلاة عندها والتبرك بها وبترابها وتقبيلها واستلامها . والبناء عليها وتجصيصها وإسراجها ورفعها بالقباب والسفر إليها.

٩- إماتة السنة وإحياء البدع .

١٠- أن الذي فعلوه نقيض المقصود من زيارة القبور من تذكر الآخرة والدعاء للمزور لا أن يطلب المزور ويدعى ويرجى ويشرك مع الله في العبادة .

١١- الشرك الأكبر الذي يفعل عندها الذي منه :

١- دعاؤها من دون الله والاستغاثة بها وطلب الواسطة الشفاعة منها.

٢- العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها .

٣- النذر لها.

٤- الحج لها والطواف بها والحلق والتقصير عندها والذبح لها .

٥- اعتقادهم أن كشف البلاء والنصر ونزول الغيث يكون بها .

وغير ذلك من السنن الشركية الكفرية والمفاسد، وكل أفعال هؤلاء القبورية المشركة والصوفية الرجسة النجسة مفاسد.

من كلام الإمام ابن القيم من كتابه إغاثة اللهفان ونوصي بالرجوع إليه .

الحادية والثلاثون: وسائل الشرك :

الذرائع التي سدها الشارع والتي تفضي إلى الشرك قسمان :

الأولى : عامة كالتصوير والغلو في الألفاظ .

الثانية : خاصة بالقبور .

قال ابن القيم : (غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور) .

زاد المعاد ٤/ ٤٥٨ ، وإغاثة اللهفان ١/ ١٤٥ .

قال ابن تيمية:(الشرك في بني آدم أكثره على أصلين:

أولها : تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها ، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون وهو شرك قوم نوح .

والثاني: عبادة الكوكب) الرد على المنطقيين ٢٨٥.

الثانية والثلاثون : العلة من النهي عن تعظيم القبور واتخاذها مساجد :

قال ابن تيمية: (وهذه العلة تعظيم القبور وابتداء النهي عن زيارتها والبناء عليها والصلاة عندها التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد ، هي التي أوقعت كثيراً من الناس إما في الشرك الأكبر (كدعاء الأموات والذبح لهم ونحوه) أو فيما دونه من الشرك، فإن الشرك بقبر الرجل أكثر من الشرك بالشجر والحجر ولهذا تجد عباد القبور يعبدون القبور ويتضرعون عندها ويخضعون بما لايفعلون مثله في بيوت الله لله). اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٤ ونقله ابن القيم في الإغاثة ٢٠٣.

وقفه : في حديث الرسول ﷺ : (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم عن جندب.

قلت : بأبي هو وأمي كيف لو رأى عباد القبور ومتخذيها مساجد فيصلون عندها بل ويطوفون بها ويعكفون عليها وينذرون لها ويذبحون لها ومع هذا يزعمون أن هذا دين الله تعالى وشرع محمد ﷺ وأمره ومن تعظيمه ومن لم يفعل فعلهم فليس بسنته مهتدي ولا لدينه مقتفي ولا له ولأوليائه محب فيا لله ما أشد الغربة .

فائدة : تعظيم القبورية للقبور أشد من تعظيم المساجد وحبهم لها أشد من حبهم لله وخوفهم منها أشد من خوف الله.

الثالثة والثلاثون : أسباب ضلال القبورية المشركة :

١- جهلهم بحقيقة التوحيد وما ينقضه وينقصه من الشرك والبدع .

٢- وضع طواغيتهم أحاديث مكذوبة عن الرسول ﷺ في عبادة القبور .

كالحديث المكذوب :(إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور) .

وحديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) .

٣- اختراعهم حكايات ساجة كاذبة عن أهل تلك القبور ومنامات أمثال أن فلانا استغاث بالقبر في شدة فخلصه وأغاثه . وأكثرها من تزيين الشيطان وتلبيسه .

فائدة : كثرة عباد القبور والمشركين من أمة محمد مما جعلهم يستدلون بالكثرة على صحة فعلهم وشرعيته وأنهم السواد الأعظم والأمة لا تجمع على ضلالة .

والجواب : أن الكثرة ليست صفة مدح بل ذمها الله في مواضع كثيرة منها :

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ يوسف: ١٠٣ ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الأنعام: ٢٥ ﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ ﴾ التوبة: ١١٦ ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ البقرة: ٢٤٩ وغير ذلك من المواضع .

الرابعة والثلاثون : سبب عبادة القبور :

اعتقاد أن أصحاب القبور من الأولياء، وغلوهم في الصالحين، وأنهم أقرب لله من الأحياء وأفضل، وأنهم يشفعون عنده ويقربون إليه ويستجيب الله لهم ويقبل واسطتهم وشفاعتهم وأنهم يسمعون كل شيء ويقدرون على كل شيء ويملكون جلب النفع ودفع الضر، والله أعطاهم كل ذلك كرامة لهم .

وشبهتهم هذه هي عين شبهة المشركين في جميع الأمم كما قال الله تعالى عنهم :

١ - ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ .

٢ - ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ .

الخامسة والثلاثون : أدلة القبورية المشركة في تجويز شركهم :

١ - المعجزات والكرامات .

٢ - رؤيا المنامات.

٣ - الحكايات والقصص والروايات الساذجة.

٤ - القياس وقد قيل ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

السادسة والثلاثون : تناقضات وإلزامات القبورية :

١ - اعتراف القبورية أن سؤال الموتي الحاجات وهم لا يقدرون على أن يفعلوا ذلك ولا أن يفعلوا شيئاً حقيقة وإنما يريدون منهم الشفاعة والوسيلة والواسطة .

وأن العبارات الموهمة تحمل على المجاز لأن من يفعلها مسلم موحد .

٢- أن زعمكم أن الأنبياء أحياء باطل لأن الملائكة والجن أحياء ويكفر من يدعوهم وأيضاً فالحياة لهؤلاء الأنبياء برزخية وليست كحياتنا ثم لا تجوز ولا تستلزم دعاءهم وسؤالهم .

٣- أن دعاء الأموات لم ينقل عن الرسول ﷺ ولم يؤثر فعله عن أحد من الصحابة ﷺ ولا عن أحد من السلف مع نزول الشدائد بهم .

٤- موافقة القبورية للمسلمين أن من اعتقد ظاهر كلامه في دعاء الأموات واعتقد أن لهم تأثيراً وفعلاً وأثراً مؤثراً حقيقياً كافر بالإجماع ، ثم بعد ذلك نفوا حصول هذه العقيدة ودافعوا عن القبورية، ودعواهم هذه قائمة على الاستيقان بأنه لا أحد من هؤلاء القبورية يعتقد فيمن يدعوه، فإذا بطل هذا الزعم وذلك الاستيقان وقام الدليل على خلافة سقط هذا الدفاع، ونحن إذا سألنا هؤلاء المدافعين عن القبورية ما دليلكم على أنهم لا يشركون في الربوبية ويعتقدون للأموات التأثير والاستقلال؟ قالوا: إنهم مسلمون والمسلم لا يعتقد ذلك ولو قاله فنحن نؤول كلامه ونحمله على المجاز، فبذلك أغلقوا باب الردة ولا يوجد كفر على مذهبهم هذا حتى لو أنكر المسلم وجود الله لقلنا أنت لست بكافر لأن كلامك يحمل على المجاز، ومع هذا كله فقبورية هذه الأزمان يعتقدون التأثير والنفع والضر وعلم الغيب والتدبير والتصرف والملك والخلق ويسمون الأولياء أهل التصريف والمدد والأقطاب، ثم لو دعوهم مع اعتقاد أنهم لا ينفعون لكان هذا جنوناً وفقدانا للعقل ونقصا فيه، ثم أخيراً أين تورع علماء القبورية من عدم تكفير فاعل الشرك إلى تكفير

الدعاة للتوحيد (لأنه لا يعظم الرسول والأولياء) وتكفير من يثبت علو الله واستوائه لأنه مجسم، فهلا أجروا عليهم قاعدتهم هذه وطردوا كلامهم في المجاز .

٥- إذا كان مقصود القبورية من دعاء الأموات وجود الجاه لهم وقربهم من الله فهلا دعوا الأحياء من أهل الصلاح وطلبوا منهم الدعاء لهم كما فعل الصحابة مع الرسول ﷺ أوليس الحي أقدر من الميت والميت عاجز قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه شيئاً فضلاً عن غيره؟

السابعة والثلاثون :سماع الميت كلام الحي وسلامه :

ما ورد من سماع الميت للحي خاص بأمور ورد النص بها وهي :

١- بلوغه الدعاء له والصدقة وانتفاعه به .

٢- سماعه لقرع النعال عند الانتهاء من دفنه ومغادرة القبر .

٣- سماعه سلام الزائر له ولا يسمع غير السلام من كلامه .

ولم يثبت أن أحدا سمع الكلام والدعاء والمخاطبة إلا أصحاب قليب بدر حين خاطبهم الرسول ﷺ وهذا من معجزاته وخاصة به ﷺ وخاصة بأصحاب القليب من قتلى بدر المشركين في تلك الساعة وليست عامة لكل ميت في زمانه أنه كان يعلم بكلام الرسول وأنه يسمع كلامه ودعاءه والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ فاطر: ٢٢ واستنكار عمر لفعله يدل على أن تلك الحالة خاصة ومستثناه والحمد لله رب العالمين الذي يسمع من يشاء ويهدي إليه من يريد .

وكل هذا لا دليل فيه على جواز دعاء الميت وطلب الشفاعة منه، وإنما تطلب من الله ويدعى وحده

الثامنة والثلاثون : مخالفة القبورية للفطرة والعقل :

حصل انتكاس في فطرة ودين القبورية المشركة ووقعت مناقضة منهم للشرع والعقل من عدة جهات:

الأول : أنهم طلبوا الشفاعة التي لا تنال إلا بالتوحيد وأرادوا حصولها بما هو أعظم سببا لمنعها وحرمانها وما يمنعها وهو الشرك ، والشفاعة سببها التوحيد .

قال الرسول ﷺ :(أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) رواه البخاري .

فلا تحصل وتتحقق إلا به والشرك يبطلها والمشركون أرادوا حصولها بما يناقض التوحيد من الشرك فأشركوا لتحصل لهم الشفاعة وطلبوا الشفاعة بالشرك .

الثاني : أنهم دعوا وعبدوا من هو محتاج ومن يدعو الله ويحتاج إلى أن يدعى له لا أن يدعى ويرجى له لا أن يرجى ويخاف منه لا أن يخاف﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ الإسراء: ٥٧، ورجوا نفع من انقطع عمله لنفسه فضلاً عن غيره وطلبوا الشفاعة ممن هو في حاجة إليها، ودعوا الأموات بدل أن يدعو لهم .

الثالث: أن زيارة القبور والموتى لنفع الأموات والدعاء لهم واتعاظ الزائر فعكس القبورية المشركون هذا المعنى والحكمة من زيارتهم فزاروهم ليدعونهم من دون الله، وأرادوا الانتفاع منهم لا نفعهم.

فالميت إذا مات انقطع عمله كما نص الحديث ودل العقل والفطرة، ولهذا استحبت زيارته للدعاء له ونفعه، فبدل القبوريون قولاً غير الذي قيل لهم، فزاروا

القبور ليدعوها لا ليدعوا لأصحابها ولينتفع الزائر لا المزار، ثم زاد جهلهم وانتكاس فطرتهم باعتقاد أن الميت لا ينقطع عمله، بل والزعم أنه في حال أنفع وأكمل وأقدر وأقرب من حال حياته، فالرجل الصالح عندهم وقت حياته لا يلتفتون إليه بل ويهينونه فإذا مات عكفوا على قبره وسألوه ودعوه وطلبوا منه أن يدعوا لهم ويشفع لهم .

مبحث : بدع القبور المحرمة

١- اتخاذ القبور مساجد :

وسنأتي بالأدلة الناهية عنها .

٢- الصلاة في المقبرة والصلاة إلى قبر:

والنهي عام يشمل إن قصد المصلي البركة أو لم يقصد ، وإن قصد البركة فهو أشنع وهي عين المحادة لله ورسوله ومخالفة دينه، وسنأتي بالأدلة قريبا.

٣- الدعاء عند القبور وعبادة الله عندها أو التبرك بها:

ويدل لذلك الأحاديث الواردة في المسألة الأولى ومنها :

قوله ﷺ: (لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر) رواه الطبراني.

٤- اتخاذ القبور أعياداً ، وخصوصاً قبر النبي ﷺ:

قال الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه مالك وغيره مرسلا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، ورواه البزار في مسنده موصولا عن أبي سعيد الخدري بسند صحيح.

وله شاهد عند أحمد وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة ؓ قال: قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

وقال النبي ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أحمد .

٥- البناء على القبور ورفعها:

والنهي عن هذه البدعة المنكرة يشمل : بناء المسجد عليها، رفعها، والزيادة على ترابها، أو تجصيصها، أو وضع القباب عليها ، وكل هذا داخل في البناء عليها:

عن جابر قال ﷺ : (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) رواه مسلم . وزاد أبو داود: (أو يكتب عليها) .

٦- ترك هدم القباب والمشاهد والمساجد المبنية على القبور، والقبور المشرفة المرتفعة عن الأرض، وهذا الترك محرما فكيف بمن يفعل هذه القباب والتشييد.

قال علي لأبي الهياج الأسدي : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) رواه مسلم .

٧- السفر للقبور وشد الرحال إليها وإعمال المطي فيها.

قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) متفق عليه .

وقد استدلوا به على تحريم السفر للقبور .

وقال النبي ﷺ : (لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد) رواه مالك والنسائي.

وقال : (لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة) الحديث رواه أحمد.

كما أنكر أبو بصرة على أبي هريرة زيارته جبل الطور بهذا الحديث ، رواه أحمد والبزار والطبراني .

٨- الكتابة عليها :

روى أبو داود: (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر أو يكتب عليها) .

٩- إسراج القبور وتنويرها :

قال ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) رواه أحمد وأصحاب السنن.

والعلة من تحريم البناء على القبور وإسراجها حتى لا تعظم ثم تعبد.

١٠- زيارة النساء للقبور:

قال ابن عباس كما في المسند والسنن: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور).

فائدة: العلة من تحريم زيارة النساء للقبور :

قيل لضعفهن وجزعهن وعدم صبرهن .

والأظهر عندي والله أعلم أن علة التحريم هو شدة تعظيم النساء المشاهد والقبور وسرعة الشرك في النساء ، ومما يدل لذلك ما جاء في الصحيحين من قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة) ، ومن شاهد نساء الروافض والصوفية رأى ذلك جلياً مما يؤكد شدة تعلقهن بالقبور.

مبحث : الصلاة في القبور واتخاذها مساجد

م (١) : أدلة تحريم عبادة الله في المقابر:

١- عن عائشة أن أم سلمة ذكرت للنبي ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ومافيها من الصور، فقال:(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنـوا عـلى قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله) متفق عليه.

٢- قالت عائشة: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال:(لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا . متفق عليـه. وعن أبي هريرة:(قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

٣- عن جندب البجلي قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يمـوت بخمـس، وهـو يقول: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم.

٤- عن ابن مسعود مرفوعا:(إن من شرار الناس من تـدركهم الـساعة وهـم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد) رواه البخاري معلقا وأحمد بسند جيد.

٥- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود.

٦- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قومـاً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أحمد وغيره بسند صحيح.

٧- قال ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) رواه أحمد وأصحاب السنن.

٨- عن أبي مرثد الغنوي أن النبي ﷺ قال: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم .

٩- قال ﷺ: (لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر) رواه الطبراني.

١٠- عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال : (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) رواه أحمد وأصحاب السنن ، صححه ابن حزم وغيره.

١١- قال عبدالله بن عمرو: نهى ﷺ عن الصلاة في المقبرة . رواه ابن حبان.

١٢- قال أنس : (أن النبي ﷺ نهى أن يصلى بين القبور) .

١٣- لما رأى عمر أنس يصلي عند قبر قال منكرا:القبر القبر. رواه البخاري.

م (٢) : كل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، وكل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا).

م (٣) : علة تحريم عبادة الله في المقابر :

١- أن في ذلك أعظم ذريعة لوقوع الشرك، فقد يظن الجاهل أن الذبح والصلاة للقبر أو أنها للموضع طلبا للبركة.

٢- تشبه بالمشركين.

٣- تعظيم غير الله من المخلوقات من البقاع والأماكن والأموات.

٤- معاندة الله بتعظيم ما نهى عنه ومضاهاة شرعه بتعظيم ما لم يعظم الله .

٥- إحياء سنن الجاهلية ولذا قال ﷺ له:(في قلبك من الجاهلية شيء) البيهقي.

م (٤) : حالات العبادة في المواضع الشركية والقبور:

١- يتعبد الله في الموضع قصدا له بعينه ، فيعتقد في هذا الموطن البركة أو أنه أقرب وأحب إلى الله ، وهذا يحرم ويعتبر من الشرك الأصغر.

٢- أن يعبد الله فيها وفاقا من غير قصد، وهذه الحالة تحرم وإن كانت أقل درجة من السابقة في الخطورة والإثم.

م (٥) : طرق تعظيم المواضع والقبور :

١- إما بجعلها أوثانا تعبد.

٢- إما بجعلها أعيادا تعظم ويعتقد فيها البركة فيعتاد قصدها وزيارتها.

م (٦) : تنبيه : علة النهي عن الصلاة في المقبرة : لكون الصلاة فيها مظنة لعبادة غير الله وذريعة لوقوع الشرك فيها ، وليس لأجل أنها نجسة كما قال البعض.

م (٧) : علة عدم إبراز قبر النبي ﷺ :

لكي لا يتخذ قبره مسجدا وعيدا كما كانت تفعل اليهود والنصارى من اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وقد جاء التنصيص على هذه العلة في قول عائشة : (يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا) .

م (٨) : درجات الصلاة في المقبرة وعند القبر :

١- إن قصد القبر بالعبادة فهذا شرك أكبر .

٢- إن قصد الله بالعبادة لكن ظن أن المقبرة مباركة والأجر فيها أعظم.

فهذا شرك أصغر وبدعة منكرة محرمة.

٣- إن صلى في القبر وفاقا من غير قصد ، ففعله مكروه وصلاته باطلة.

م (٩) : بطلان الصلاة في المقبرة :

من صلى الفريضة في المقبرة فصلاته لها باطلة وتجب عليه إعادتها ، لأنه جاء النهي عن الصلاة في المقابر والنهي يقتضي الفساد .

م (١٠) : تسمية القبر وثناً وطاغوتا :

القبر إذا عُبد سمي وثناً بنص الحديث ويعتبر طاغوتا ، أما صاحبه الميت فيه إن كان صالحا فلا يسمى طاغوتا كما سميت صنم اللات طاغوتا دون الذي نسبت له الرجل الصالح .

م (١١) : كل الأحاديث المتعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ باطلة ولا تصح .

وقد فندها ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي .

تنبيه : ومما يتعلق بالباب رعاية الآثار والسفر لها وشد الرحال للقبور وغير ذلك بينته في رسالة ذرائع الشرك .

الباب الثاني

شرك الشفعاء والوسطاء

الفصل الأول : حقيقة الشفاعة

﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾

الفصل الثاني : حقيقة الوسائط

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾

تمهيد :

هذا الباب في شرك الوسائط : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ .

وشرك الشفعاء :﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

المتعلقان بطلب جلب الخير والنفع ودفع الشر والضر .وهما أصل شرك العالم وشرك كل الأمم ويدخلان في شرك الدعاء .

ولهما تعلق بشرك القبور فهما مترابطان لكن قد يوجد شرك قبوري خارج عن شرك الشفاعة، وشرك الشفاعة من غير القبور.

الفصل الأول : حقيقة الشفاعة وشرك الشفعاء

المسألة الأولى : تعريف الشفاعة :

الشفع ضد الوتر والفرد، بمعنى الزوج والاقتران والجمع والضم والطلب .

والاستشفاع : طلب الشفاعة . سميت شفاعة لمشاركة الطالب بعد أن كان وحده.

وفي الاصطلاح : طلب الخير للغير والسؤال في التجاوز عن الذنوب .

أو هو التوسط للغير بجلب نفع أو دفع ضر .

المسألة الثانية: أدلة الشفاعة :

أدلة الشفاعة من كتاب الله الكريم :

وقد ورد موضوع الشفاعة في أربعٍ وعشرين آية .

أولاً : أدلة شروط الشفاعة :

١- قال تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

٢- قال تعالى:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦.

٣- قال تعالى:﴿ يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوۡلًا ﴾ طه: ١٠٩.

٤- قال تعالى:﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ الأنبياء: ٢٨.

٥- قال تعالى:﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٣.

٦- قال ﷻ:﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ يونس: ٣.

ثانياً : أدلة الشفاعة المنفية :

٧- قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام: ٥١.

٨- قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨.

٩- قال: ﴿ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤.

١٠- قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ١٢٣.

١١- قال تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ السجدة: ٤.

١٢- قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ المدثر: ٤٨.

١٣- قال تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٣.

ثالثاً: نفي الشفعاء وبطلان شفاعتهم وإثبات الشفاعة لله وأنها ملك لله وحده:

١٤- قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الزمر: ٤٤.

١٥- قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الروم: ١٣.

١٦- قال تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ يس: ٢٣.

١٧- قال تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ مريم: ٨٧، فالشفاعة لا يملكها أحد سوى الله ﷻ ولا تحصل إلا لأهل التوحيد وهو العهد المقصود في الآية، وحصولها لهم لا يلزم ولا يدل على أن لهم ملكاً فيها.

١٨- قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ الزمر: ٤٣، وهذا سؤال استنكار يفيد نفي الشفاعة وأن الشفعاء الذين اتخذهم المشركون لا يملكونها.

١٩- قال: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٦، وهذا استثناء منقطع يفيد أن الشفاعة لا يملكها أحد، ولا ينافي ذلك إذنه فيها للبعض فإن شفاعتهم من غير أن يملكوها وإنها بعد أذن الله، فيكون المستثنى بقوله إلا من شهد بالحق حصول الشفاعة لا ملكها، وهذا ما رجحه ابن تيمية، وقيل الاستثناء متصل ومعناها لا يملك أحد الشفاعة وينالها لا الشافع ولا المشفوع له إلا من يشهد بالحق الذي هو التوحيد ،والأول هو الصحيح .

انظر الفتاوى ١٤/ ٤٠٩.

ويتبين من الآيات السابقة أن الله ﷻ لما أخبر أن الشفاعة ملك لله وحده وكان المشركون يريدون الشفاعة من غيره عاملهم الله ﷻ بنقيض قصدهم من جميع الوجوه فحرموا الشفاعة لأن طريقها الوحيد هو التوحيد والإيمان الحق بلا إله إلا الله قولاً وعملاً .

أدلة الشفاعة من السنة المطهرة :

١- عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قلت يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري .

٢- حديث الشفاعة الطويل المتفق عليه عن أبي هريرة وفيه قال ﷺ : (فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي) ، وفي رواية : (فيأتونني ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقول لي) .

وفي بعض ألفاظ حديث الشفاعة بسند ضعيف : (فأقول يارب وعدتني الشفاعة) .

٣- حديث أبي سعيد الخدري الطويل في شفاعة الشافعين في أهل النار وفيه: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين) متفق عليه .

٤- وعنه في مسلم : (أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) .

٥- عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ... وأول شافع وأول مشفع) رواه مسلم .

٦- عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) رواه مسلم .

٧- حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة ، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئاً) رواه الترمذي .

٨- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) رواه أبو داود والترمذي .

٩- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وفيه قال ﷺ : (من سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) رواه مسلم .

١٠- قال النبي ﷺ : (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا) وقال : (يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) رواه مسلم.

١١- حديث جابر ﷺ قال رسول الله ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي) ومنها : (وأعطيت الشفاعة) رواه البخاري ومسلم.

المسألة الثالثة : كلام أهل العلم في الشفاعة الشركية :

قال ابن تيمية : (الملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة فليس توليهم والاستشفاع بهم هو الذي يوجب أن يشفعوا، فليس أحد ممن يُدعى يملك الشفاعة ولكن من شهد بالحق وهو يعلم، فإن الله يشفع فيه، فالذي تنال به الشفاعة الشهادة بالحق وهي التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، فلا تنال بتولي غير الله ولا دعاؤه فمن

والى أحداً ودعاه وقرب له القرابين ليشفع له لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره ، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد ومن تولى أحداً من دون الله فهو مشرك . فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين ليشفعوا لهم ودعوهم من دون الله كانت عبادتهم إياهم ودعاؤهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأنهم أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً) بتصرف الفتاوى ١٤/ ٤١٢ .

وقال القرطبي في تفسيره لآية سبأ (ولا تنفع الشفاعة): (الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام ، إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة).

قال الرازي في تفسيره ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس:١٨ : (أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله) .

قال ابن القيم في النونية :

وله الشفاعة كلها وهو الذي   في ذاك يأذن للشفيع الداني

لمن ارتضى ممن يوحده ولم   يشرك كما قد جاء في القرآن

ولابن القيم كلام نفيس متناثر في باب الشفاعة في إغاثة اللهفان ومدارج السالكين والجواب الكافي سنورده في مواضعه .

المسألة الرابعة: أركان الشفاعة :

١- الشفاعة : وهي الفعل نفسه والطلب الذي يقوم به الشافع.

٢- الشافع (الشفيع والمشفّع) وهو الطالب والمتوسط .

٣- المشفوع له : وهو صاحب الذنب وطالب الشفاعة المنتفع بها .

٤- المشفوع عنده وإليه: وهو المتصرف في الأمر والمالك للعقوبة والعفو عنها والحاكم بالتوبة والقابل للشفاعة .

٥- المشفوع فيه : وهو الذنب الذي استحق فاعله عليه العقوبة، أو الطاعة وعمل الخير الذي يرجو أن يثاب عليه وتقبل منه .

المسألة الخامسة: مذاهب الفرق في الشفاعة :

الناس فيها طرفان ووسط على ثلاثة أقوال :

القول الأول: إن الشفاعة جميعها منفية إلا النزر القليل اليسير ؛ فنفوا الشفاعة للعصاة يوم القيامة فالرسول ﷺ لا يشفع في العصاة فمن عصى الله ﷻ فهو خالد مخلد في النار لا يخرج منها ولا يشفع فيه شافع، وهذا قول الخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم ممن ذهب إلى مذهب الوعيدية فهؤلاء غلوا في إنكارها .

القول الثاني: من غلا في إثباتها وجعل الشفاعة مطلقة في الدنيا وفي الآخرة، فأثبت الشفاعة لمحمد ﷺ في الدنيا وأثبت الشفاعة لغيره من الأولياء من غير أن يأذن الله ومن دون أن يرضى ؟

وهذا مذهب الصوفية والرافضة والقبورية.

الثالث: وهو قول من توسط بين هؤلاء ، وهم أهل السنة والتوحيد الذين لم ينفوا الشفاعة بالكلية ، ولم يثبتوها بالكلية بل توسطوا فيها فأثبتوها بشروط وإذا انتفت الشروط انتفت الشفاعة ، فقالوا : الشفاعة تثبت بإذن الله ورضاه يوم القيامة.

المسألة السادسة: أقسام الشفاعة : باعتبارات :

١- تنقسم الشفاعة إلى شفاعة لجلب خير وشفاعة لدفع شر .

فالأولى في قبول الحسنات والتقريب ، ومن أنواع الشفاعة الصحيحة المتعلقة بها الشفاعة في دخول الجنة ورفعة الدرجات فيها .

ويدل لهذا القسم قوله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣.

والثانية في تكفير السيئات والتجاوز عن الذنوب وهي المعنى الأخص للشفاعة ، ومن أنواعها الشفاعة في الخروج من النار أو عدم دخولها .

ويدل لهذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

٢- كما تنقسم الشفاعة إلى شفاعة مثبتة وشفاعة منفية .

٣- شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة .

٤- الشفاعة عند الله والشفاعة عند الناس .

وتنقسم الشفاعة إلى :

١- شفاعة مخلوق عند مخلوق : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ النساء: ٨٥ . وقال ﷺ: (اشفعوا تؤجروا) رواه مسلم .

٢- شفاعة الخالق عند المخلوق وهذه غير موجودة وأنكر الرسول ﷺ على من أثبتها واعتقد وجودها.

٣- شفاعة المخلوق عند الخالق وهي قسمان مثبتة ومنفية .

ولها أنواع من جهة طلبها :

١- أن تطلب من الله وهذا جائز ، اللهم شفع رسولك فينا .

٢- أن تطلب من الرسول ﷺ زمن حياته وهذا جائز وقد ثبت ذلك عن أنس.

٣- أن تطلب من الرسول ﷺ بعد موته وهذا الكفر الأكبر .

٤- أن تطلب من الرسول ﷺ يوم القيامة وهذا جائز إن رضي الله ﷻ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس يطلبون من الرسل الشفاعة في الموقف وأن ناساً من أمته من العصاة من مانعي الزكاة يسألونه الشفاعة يوم القيامة فلا يغني عنهم شيئا.

السابعة : الشفاعة المثبتة والمنفية :

الشفاعة المثبتة : تطلب من الله ﷻ بإذنه ورضاه وهي خاصة لأهل التوحيد.

الشفاعة المنفية : وهي التي تطلب من غير الله أو تطلب من الله لكن بدون إذنه ورضاه ، وقد ذكرها الله ﷻ في آيات في مثل قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤.

الثامنة : ضابط الشفاعات التي نفاها الله ﷻ وأقسامها :

أن تطلب الوسائط المخلوقة وتدعى من دون الله لتقرب الداعي إلى الله وتشفع له عنده سبحانه في جلب نفع أو دفع ضر . ومن ذلك ما يفعله عباد القبور المشركون من طلب الأموات أن يشفعوا لهم ويتقربون بهم إلى الله تعالى.

والشفاعة المنفية المحرمة لها قسمان :

القسم الأول: الشفاعة الشركية أن تطلب من غير الله ﷻ.

القسم الثاني: أن تطلب من الله ﷻ لكن بغير إذنه ولا رضاه ، يعني لا يتوفر فيها شروط الشفاعة .

ومن صور الشفاعة المحرمة : الدعاء للمشرك والكافر ، ومن هذا الباب نهى الله نوحاً عن الدعاء لابنه وإبراهيم لأبيه ومحمدا ﷺ من الدعاء لأمه وعمه ولأبي ابن سلول .

المسألة التاسعة : الشفاعة في الدنيا بين الناس :

الشفاعات بين الخلق في الدنيا الأصل فيها قوله تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ النساء: ٨٥.

ويقول الرسول ﷺ: (اشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه ما أحب) رواه مسلم .

وتحرم الشفاعة في الحدود إذا بلغت السلطان يدل لذلك حديث عائشة في البخاري في المرأة المخزومية التي سرقت فشفع فيها أسامة فقال النبي ﷺ : (أتشفع في حد من حدود الله) .

المسألة العاشرة : أنواع الشفاعة المثبتة عند الله يوم القيامة :

١- الشفاعة العظمى لأهل الموقف لفصل القضاء وهي التي يقوم بها سيد ولد آدم محمد ﷺ ، وهي المقام المحمود .

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها وهي خاصة بالرسول ﷺ أيضاً .

كما صح في الحديث الذي عند مسلم : (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع، فيقول الخازن: من أنت فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك) .

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب وهذه خاصة بالرسول ﷺ وفي عمه أبي طالب فقط. ويدل لها ما جاء في الصحيحين عن العباس أنه قال : يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: نعم، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) وقال فيه لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح يغلي منه دماغه) ، وفي مسلم أنه أهون أهل النار عذابا.

٤- الشفاعة في أقوام من الموحدين من أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها لحديث : (شفاعتي في أهل الكبائر من أمتي) رواه أبو داود والترمذي.

٥- الشفاعة في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها .

وهذا النوع ورد فيه بعض الأحاديث الضعيفة .

قال ابن القيم في تهذيب السنن : (هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه) ٧/ ١٣٤ .

وقد أثبت هذا النوع ابن تيمية وغيره، انظر الفتاوى ٣/ ١٤٧ .

٦- الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب ، كما شفع الرسول ﷺ في عكاشة بدعائه له أن يكون منهم حتى صار منهم ، وحديثه في الصحيحين.

٧- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة .

ويدل له قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ الطور: ٢١ .

ودعاء الرسول ﷺ لأبي سلمة أن يرفع درجته في المهديين، والحديث في مسلم، وكدعائه لأبي عامر أن يرفعه يوم القيامة على كثير من الخلق، كما في الصحيحين.

والشفاعات الأربعة الأخيرة عامة وليست خاصة بالرسول ﷺ بل يقوم بها المؤمنون والملائكة .

٨- الشفاعة في أهل الأعراف ومن تساوت حسناته وسيئاته .

واستدل ابن حجر في الفتح لهذا النوع بحديث عند الطبراني : (الظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ) ، والحديث ضعيف .

المسألة الحادية عشرة : شروط الشفاعة :

الشفاعة لا تقبل عند الله، وتصير داخلة في الإيمان والتوحيد إلا بشرطين :

١- **الشرط الأول** : الإذن من الله تعالى للشافع ودليله قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

٢- **الشرط الثاني** : رضا الله تعالى عن الشافع وعن المشفوع له ودليله:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦.

وهذه الآية جمعت بين الشرطين الإذن والرضا .

فالشفاعة لا تتم إلا بإذن من الله ﷻ ، وهذا الإذن راجع إلى الله وإلى ربوبيته وفعله فإذا أذن وشاء أن يشفع أحد عنده شفع ولا يأتي بهذه الشفاعة إلا من أذن الله له ولا يشفع لأحد إلا إذا كان موحداً، فأسعد الناس بالشفاعة هو الموحد وهو من قال : لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ، كما في حديث أبي هريرة ، فالشفاعة يوم القيامة بأنواعها كلها يوجد فيها شرط (الإذن من الله والرضا) ، الشفاعة الكبرى العظمى شفاعة الرسول ﷺ به في أهل الموقف والشفاعة في دخول الجنة وفتح باب الجنة للناس وشفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب، والشفاعات الأخرى كالشفاعة في رفع

الدرجات في الجنة وفي ناس يدخلون النار أن يخرجوا منها وناس كتب عليهم دخول النار ألا يدخلوها وأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يغفر الله لهم وغير ذلك من أنواع الشفاعات يوم القيامة لا تخرج كلها عن إذن الله ورضاه .

المسألة الثانية عشرة : الإذن في الشفاعة متعلق بالشرع والقدر :

١ – **الإذن القدري** : مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١٠٢ والأذن هنا كوني قدري وليس بشرعي .

٢ – **الإذن الشرعي** : ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ الأحزاب: ٤٦ ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الشورى: ٢١ وهذا إذن شرعي.

وقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ البقرة: ٢٥٥.

والإذن هنا شرعي وقدري أي أنه لا أحد يشفع عنده قدراً وكوناً ولم يأذن به لأنه لم يشأه ويقدره، كما أنه لم يأمر به ولا أباحه ولا شرعه دينا.

فائدة : الرضا لا يكون إلا شرعي مثل المحبة .

أقوال الناس في الإذن :

١ – أهل التوحيد قالوا الشفاعة لا تكون إلا بأذن الله القدري والشرعي معاً ومن يشفع بدون إذنه كما هو حال المشركين فإن الله لم يأذن في هذه الشفاعة شرعاً أي لم يبحها ولم يقدرها ويريدها قدراً ولم يخلقها فكأنها لم تحصل ولم تكن فهي منفية كالمعدومة .

٢ – المشركون والصوفية : قالوا: إن الشفعاء يشفعون بالأذن القدري وإن لم يأذن لهم شرعاً فيها ولم يبحها ويجوزها، فالله لم يردها شرعاً ولكن أرادها قدراً .

٣- من قال: إن الشفاعة الشركية أذن الله فيها قدراً وشرعاً ومن ردت شفاعته فالله لم يأذن فيها لا شرعاً ولا كوناً وهؤلاء هم الجبرية .

٤- من قال: الله لم يأذن في الشفاعة قدراً لأنه لم يخلقها ولا يخلق أفعال العباد وهذا قول القدرية منكري الشفاعة .

٥- من يقول الله لم يأذن في الشفاعة لا قدراً ولا شرعاً والشفعاء يشفعون عنده بغير إذن قدري ولا شرعي ويقول ذلك كثير من النصارى المكذبين بالقدر .

فإن قيل: يوجد شفعاء شفعوا عند الله بدون أذنه الشرعي، وهو خالق لفعلهم فيكون ويلزم بذلك أنه أذن لهم قدراً مثل شفاعة إبراهيم في أبيه ونوح في ابنه ومحمد ﷺ في ابن سلول .

وأنتم تقولون: إن الأذن في الشفاعة يعم النوعين فإنه لو أراد الأذن القدري فقط لكان كل شفاعة داخلة في ذلك كما يدخل كل كفر في إذن الله القدري لكونه قدرها ، ولم يكن هناك فرق بين الشفاعة التي ما تكون بإذنه والشفاعة التي لا تكون بأذنه فكلها حاصلة بقدر الله .

وإن أراد الأذن الشرعي فقط للزم قول القدرية السابق .

وهؤلاء الأنبياء شفعوا بدون إذن الله الشرعي مما يدل على أن شفاعتهم حصلت بأذن الله كوناً وقدراً .

والجواب : الشفاعة مقصودها قبول المشفوع إليه شفاعة الشافع وعفوه عن المشفوع له وهذه الشفاعة التامة وهي التي لا تكون إلا بأذنه . أما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته كانت كعدمها وكان على صاحبها التوبة والاستغفار كما قال نوح :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ هود: ٤٧ عليه فشفاعة من ذكرتم لم يقدرها فهي في حكم المعدوم .

ولابن تيمية كلام في المسألة في الحسنة والسيئة وقاعدة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والشرك ودقائق التفسير.

الثالثة عشرة : الفرق بين الشفاعة عند الخالق والشفاعة عند المخلوقين :

الأول : أن الشفاعة عند الله ﷻ لا تحصل إلا بإذنه ورضاه وما هذا إلا لكماله.

أما الشفاعات عند المخلوقين فقد تحصل الشفاعة بدون إذنهم ولا رضاهم .

وهذا عمدة الفروق ومرجعها حيث ترد كل الفروق الباقية إليه .

فالله ﷻ لا يقبل شافع عنده إلا بإذنه، وهذا من تمام ملكه، ويقبل الشفاعة من غير رجاء لأحد أو خوف من أحد، وهذا بعكس غيره فيشفعون للناس فيقبل ملوك الأرض شفاعة الشفعاء إما رغبة في خير لهم أو رهبة أو خوف، وهذا دليل على نقصهم وضعفهم، فكيف تسوى بعد ذلك الشفاعتان شفاعة الله وشفاعة المخلوق، فتطلب من الله الشفاعة كما تطلب من ملوك الأرض، وما هذا إلا من عظم الظلم .

الثاني: البشر والملوك محتاجون للشفاعة إما لجهلهم برعاياهم أو لعجزهم وعدم قدرتهم بتدبير أمورهم أو لقسوتهم فيحتاجون من يسترحمهم ويستعطفهم .

أما الرب ﷻ فليس محتاجاً إلى أحد وكل الخلائق يصمدون إليه بحوائجهم .

الثالث : قد يكره المخلوق على الشفاعة وتحصل بدون رضاه واختياره وذلك لقوة الشافع ومهابة الملك له أو لمحبته له أو غير ذلك.

أما الرب ﷻ فلا يخاف من أحد ولا يرجو ما عند أحد وهو العلي الكبير ويرجع هذا للفرق الأول .

الرابع: أن الشفاعة والشافع والمشفوع له كل ذلك ملكاً لله تعالى، أما المشفوع عنده من ملوك الدنيا فليست الشفاعة ملك لهم ولا أيضا الشافع بل هم شركاء فيها ليست ملكاً لأحد منهم .

الخامس : أن الشفاعة عند المخلوق مؤثرة والشافع مؤثر وآمر فيها وله تأثير في تحصيلها، بخلاف الشفاعة عند الخالق ﷻ فالشافع ليس آمراً ولا مؤثراً فيها وإنما هو مأمور من الله بالشفاعة عبداً عنده وهو مجرد سبب .

قال ابن القيم: (الفرق بين الشفاعتين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور والخالق والمخلوق، وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا إذنا بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الأسباب وقد تكون الشفاعة مع كراهية المشفوع عنده وعدم رضاه عنها ويقبلها كرها. فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فإن قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم. وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويرضى لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده لا لحاجة الرب إليه ولا رهبة منه ولا رغبة فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره فهو مأمور بالشفاعة فالرب هو الذي يحرك الشفيع) بتصرف الإغاثة ٢٤٦.

السادس : أن الله سبحانه وتر والمخلوق شفع .

فالشافع كأنه آمر وفاعل ومؤثر مع المشفوع عنده، أي أن لـه تـأثير في الطلـب والأمر، فكأن الشافع جزء من المشفوع عنده والمشفوع له ويمثـل مكـانهما، فالـشافع يشفع المشفوع عنده والمطلوب منه وينضم معه في أمره وكأنه مـشارك لـه في الحكـم والعفو، كما أنه يشفع المشفوع له .

بخلاف الرب عز وجل فهو وتر وهو وحده الحاكم الآمر لم يـشفعه أحـد، ولم يشاركه الشافع في الحكم، وهذا الفرق بين الشفاعة عند الله والشفاعة عند البشر .

من اجتهاد شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذه من المعنى اللغـوي وسـنذكر هـذا الفرق بشيء من البيان والإيضاح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله : (الـشفيع (الـشافع) كـما أنـه شـافع للطالب شفاعته في الطلب (أي طالب الشفاعة وهو المشفوع لـه) ، فهـو أيـضاً قـد شفع المشفوع إليه، فبشفاعته صار المشفوع إليه فاعلاً للمطلوب ، فقد شفع الطالـب والمطلوب (وهما المشفوع له الذي طالب منه الشفاعة،والمشفوع عنـده المطلوبـة منـه الشفاعة) والله تعالى وتر لا يشفعه أحد فلا يشفع أحـد إلا بإذنـه ، فـالأمر كلـه إليـه وحده فلا شريك له بوجه) الفتاوى ١٤/ ٣٨١ .

توضيح هذا الفرق :

أن الشافع بمنزلة المشفوع له والمشفوع عنده(الملك) معـا، داعـياً لهـما شـفعهما واقترن بهما بشفاعته .

وذلك أن الفعل والطلب والأمر المـشفوع فيـه حـصل بتـأثيره، ووقـع بتـأثير مشترك من الشافع والمشفوع عنده، وليس بأمر المشفوع عنده وحده، فلـولا الـشافع

لما كان المشفوع عنده، فاعلاً للمطلوب والمشفوع فيه، ولما حصلت الشفاعة ولا حصل ووقع المطلوب والأمر المراد تحصيله، إلا بفعل وتأثير مشترك بين أثنين: الشافع والمشفوع عنده .

وهذا لا يمكن أن يقال في حق الله تعالى فهو الفاعل وحده ولا تحصل الشفاعة إلا بأمره وأذنه ورضاه وحده، والشافع عنده إنما هو مجرد سبب .

أما الشافع عند المخلوق فله تأثير واشتراك في الفعل، فالفعل لم يحصل ولم يتم المطلوب إلا بتأثيره ، فهو في الحقيقة فاعل للمطلوب، فبشفاعته حصل المطلوب حقيقة، لأن فعل الشفاعة حصل بفعل اثنين الشافع والمشفوع عنده، وهو أحدهما .

فالشافع عند البشر شفاعته مقترنة بالطالب والمطلوب، مؤثرة في الفعل المطلوب ، فكأن الشافع جزء من المشفوع له وأحد المشفوع لهم أي أنه مشفوع له كذلك هو جزء من المشفوع عنده والمطلوب منه الشفاعة فهو بذلك أحد الفاعلين .

وعليه فالشافع شافع للطالب الذي هو المشفوع له في طلبه، وشافع أي فاعل مؤثر في المطلوب منه الذي هو المشفوع عنده (من ملك أو غيره) فهذا معنى كون المخلوق شفع، أما الله عز وجل فهو وتر لا يمكن أن يكون الشافع فاعلاً معه أو مؤثراً وإنما مجرد سبب .

المسألة الرابعة عشرة : أسباب احتياج ملوك الدنيا للشفاعة في الدنيا :

١- لجهلهم بأمور مملكتهم وعدم علمهم بحال المشفوع له ومصلحته .

٢- عجزهم وعدم قدرتهم على نفع الناس إلا بالشفاعة فلا يستطيعون القيام بأمور مملكتهم لوحدهم فيحتاجون للمعين .

٣- لقسوتهم وعدم رحمتهم فيحتاجون من يستعطفهم ويرغبهم ويبين لهم المصلحة في الشفاعة .

٤- لأمر خارج عنهم ومن ذلك مثلاً خوفهم ومهابتهم للشافع أو المشفوع له أو مكانة الشافع وجاهه أو لمحبتهم له وطاعتهم له أو لرغبتهم إليه ورجائهم له واحتياجهم إلى هؤلاء الشفعاء لتدبير أمورهم وتحقيق مصالحهم .

أما الرب ﷻ وتقدس فليس فيه شيء من ذلك ومن أثبت الشفعاء عنده فقد استلزم ذلك إثبات هذه الصفات بالرب وكان فاعلها وطالب الشفاعة من المخلوقين عند الله من أعظم المشركين والقادحين في كمال الرب ولذلك قال ﷻ بعد أن زعم المشركون أن الأولياء والمعبودات تشفع لهم عند الله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يونس: ١٨ ، فإثبات الشفاعة تستلزم إثبات النقص والجهل لله .

المسألة الخامسة عشرة : الشفعاء عند الله ﷻ يوم القيامة :

١- الملائكة .

٢- الرسل والأنبياء .

٣- المؤمنون .

لحديث : (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين) متفق عليه .

٤- الشهداء حيث صح عند أبي داود وغيره : (يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته) .

٥- شفاعة أولاد المؤمنين ممن مات قبل البلوغ كما جاء في صحيح البخاري وغيره : (ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد).

٦- شفاعة كلام الله القرآن لأصحابه ، قال النبي ﷺ : (إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابة) رواه مسلم من حديث أبي أمامة.

٧- شفاعة الصيام لأهله ، لحديث : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان) أخرجه أحمد والحاكم عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

المسألة السادسة عشرة: هل الرب عز وجل يشفع :

في الحديث المتفق عليه يقول تعالى: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين).

وفي رواية عند البخاري (وبقيت شفاعتي) .

فالله عز وجل يرحم ويغفر ويتوب ويعفو وأما الشفاعة فهي عنده وملك له فيشفع عنده بأمره وإذنه ولا يشفع عند أحد تبارك وتعالى .

لكن قد يقال في هذه الرواية يتصور شفاعة الله عند نفسه وهي من جنس ماورد في الدعاء الذي رواه مسلم : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك) ، (برحمتك أستغيث).

قال ابن القيم:(الشفاعة لمن له الملك فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له) الإغاثة ٢٤٦.

المسألة السابعة عشرة : الاستشفاع بالله على خلقه :

الله لا يشفع لمخلوق عند مخلوق فهو رب الجميع ومالكهم، والله إذا أراد أن يعفو المخلوق مظلوم عن ظالمه، عرض له من الثواب ما يجعله يعفو وليست هذه شفاعة، وقد غضب الرسول ﷺ لما قال له الرجل نستشفع بالله عليك ، وجاء الكلام عنها في الوسائط . ومثلها الإقسام على الله .

المسألة الثامنة عشرة : أسباب الحصول على الشفاعة :

١- التوحيد لحديث أبي هريرة في البخاري : (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه).

٢- قراءة القرآن .

٣- الصيام .

٤- سؤال الله الوسيلة للرسول ﷺ والدعاء بها ورد بعد الآذان .

٥- سكن المدينة والصبر عليها والموت بها ، فعن أبي سعيد يرفعه : (لا يصبر أحد على لأوائها فيموت بها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) رواه مسلم.

٦- كثرة الصلاة على الرسول ﷺ.

٧- صلاة أربعين رجل على الميت أو ثلاثة صفوف.

٨- كثرة السجود .

وقد وردت الأحاديث في هذه الأسباب وتقدمت .

تنبيه : بطلان فضل زيارة قبر الرسول ﷺ وضعف الأحاديث الواردة فيها .

أورد أهل البدع أحاديث تحض على زيارة قبره ﷺ وأنها موجبة لشفاعته والصحيح أنها كلها موضوعة أو ضعيفة.

المسألة التاسعة عشرة : موانع حصول الشفاعة يوم القيامة :

١- الكفر والشرك، ومن الكفر طلب الشفاعة من الأموات والرسول ﷺ بعد موته ولذلك لم تقبل شفاعة إبراهيم في أبيه ونوح في ابنه ومحمد في أمه وعمه .

٢- اللعن وفي الحديث : (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة) رواه مسلم .

٣- المرجئة والقدرية من أهل البدع : لحديث أنس (صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية) رواه الترمذي وفي سنده ضعف .

٤- غش العرب: (من غش العرب لم يدخل في شفاعتي) رواه الترمذي .

٥- الإمام الظالم الغشوم الغاش لرعيته : (رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة إمام غشوم عسوف، وآخر غال في الدين مارق عنه) رواه ابن أبي شيبة .

٦- المكذب بالشفاعة لقول أنس ﷺ : (من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب) أخرجه الآجري في الشريعة وسعيد بن منصور.

المسألة العشرون: السر في حرمان المرجئ والقدري من الشفاعة يوم القيامة :

أما القدري فلكونه يكذب بالشفاعة في أهل الكبائر لأنه يرى أنهم كفار مخلدون في النار بالكبائر التي اقترفوها فاستحق أن لا يكون له نصيب من الشفاعة لكونه مكذب بها كما قال أنس ﷺ.

أما المرجيء : فلأنه ترك العمل وأخرجه من الإيمان واستخف بالأوامر والشريعة وضعف في قلبه تعظيم الدين والانقياد والاستسلام وطمع في الشفاعة دون أن يأتي بأسبابها فكان عقابه من جنس عمله أن يمنع من هذا الفضل العظيم الذي لم يعمل له عملاً ولا استعد له بسبب شرعي صحيح والله تعالى أعلم .

الحادية والعشرون: المشركون الذين طلبوا الشفاعة من الأموات اتكلوا عجزا:

أرادوا ترك الأعمال وطمعوا في ثواب بلا عمل صالح، فلجئوا إلى الشفاعة .

الثانية والعشرون : الشفاعة ملك لله تعالى ولا ينافي ذلك الإذن بها :

ومعنى أنها ملك لله تعالى أي خاصة به وله وحده، فهو المالك لها لا يشاركه أحد فيها ، وليس لأحد أن يشفع للخلق عنده إبتداءاً من دون استئذانه تعالى.

ومما يدل على أن الشفاعة لا يملكها غير الله قوله ﷻ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٤٤، ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ مريم: ٨٧، ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ الزخرف: ٨٦، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ الزمر: ٤٣.

فالخلق لا يملكون الشفاعة وهذه عقيدة أهل التوحيد في الشفاعة أنها ملك لله وحده لا يملكها أحد ولا يتصرف فيها غيره ، وليس لأحد أن يشفع عنده إلا بعد إذنه ورضاه مما يدل على أن الشافع مأذون له في الشفاعة وليس بمالك لها واللام في قوله ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ للملك والاستحقاق فهي ملك لله وحق له وحده .

وأما قوله: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ فإن هذا استثناء منقطع يفيد أن الشفاعة لا يملكها أحد ، ولا ينافي ذلك إذنه فيها

للبعض فإن شفاعتهم من غير أن يملكوها وإنها بعد أذن الله، فيكون المستثنى بقوله إلا من شهد بالحق حصول الشفاعة لا ملكها ، وهذا ما رجحه ابن تيمية كما تقدم.

قال ابن تيمية : (فأما إذا أذن له في أن يشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعاً له أي تابعا له في الشفاعة) الفتاوى ١ / ١١٨ .

قال ابن القيم: (فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم عبده، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾، فأخبر أنه ليس للعبد شفيع من دونه، والشفاعة بأذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بأمره وإذنه ... الشفاعة كلها له وحده وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بأذنه فإنه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم لبعض) الإغاثة: ٢٤٦.

وشفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة عند الله فإنها لا تكون إلا بإذن الله له ابتداء ولا يشفع أي شافع الرسول وغيره ابتداءاً، ولذلك لا يشفع الرسولﷺ حتى يسجد ويحمد الله، ثم يقول الله وتعالى له يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فالله تعالى أمره بالشفاعة ابتداءا ثم هو يقول أمتي فيشفع لنا نسأل الله من فضله.

فتأمل هذا الموقف فهو رأس التوحيد وعماده فلم يقل الرب لمحمد ﷺ ماذا تريد ويقول أريد الشفاعة، بل الله الذي يأمره بأن يشفع فهذا معنى كون الشفاعة ملك لله وتحت إذنه لمن شاء أن يشفع إذا رضي عنه وعن المشفوع، وقد لا يرضى فلا تقبل الشفاعة .

ومما يدل أن الله الذي يأمره بأن يشفع وأن يشفع في خلق معينين حديث أبي سعيد الخدري في مسلم : (حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم) .

وحديث أنس في الشفاعة في مسلم : (اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة) .

وحديث: (ربي قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار، قال فيقول:انطلق فأخرج من شاء الله أن تخرج) وفي سنده إسماعيل بن عبيد تُكلم فيه ووثقه الدارقطني .

ولو أراد الرسول ﷺ الشفاعة وطلب من الله أن يشفع لأحد فإنه لن يفعل ذلك إلا إذا أذن الله له ، ألا ترى أن الله ﷻ قد رد شفاعة الرسول ﷺ حين شفع ودعا لابن سلول حين صلى عليه يوم مات، كذلك لم يؤذن له في الاستغفار لأمه، وكذا إبراهيم في أبيه ونوح في ابنه، بل لامهم الله على شفاعتهم، وكل هذا يقطع بأن الشفاعة ملك لله، وإذا كان هذا حال أفضل الخلق فكيف بغيرهم ومن دونهم، وكيف بعد هذا يقول من يقول من مشركي هذه الأمة أن الرسول ﷺ يشفع ويملك الشفاعة والله أعطاه مطلق الشفاعة ابتداءً فنطلبها منه مباشرة .

ومن الأدلة الدالة على أن الشفاعة تكون بأمر الله ولا ينالها إلا من شاء الله وأن أفضل الخلق وأعلاهم منزلة وأعظمهم مكانة عند الله قد ردت شفاعتهم في مواضع:

قوله ﷺ: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا) (يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) رواه مسلم.

وقوله ﷺ: (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك) . رواه البخاري ومسلم .

وقول الله تعالى له مخبرا بأنه لن يقبل شفاعته وناهيا له عن الشفاعة :

﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٨٠.

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ المنافقون: ٦.

ولما أراد الرسول ﷺ أن يستغفر لأبي طالب نهاه الله ونزلت عليه الآيات في سورة التوبة وقال له تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ التوبة: ١١٣

وقال ﷺ : (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي) رواه مسلم.

كما لام الله نوحا لما أراد أن يشفع في ابنه وعاتبه : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ هود: ٤٦ – ٤٧.

كما أنكر الله تعالى على خليله إبراهيم لما أراد أن يشفع لأبيه ويستغفر له بقوله :

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٤

بل إنه لا يقبل شفاعته فيه حين يشفع فيه يوم القيامة: فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم : يارب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟

فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال انظر ما تحت رجليك، فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) . رواه البخاري .

المسألة الثالثة والعشرون : شفاعة الرسول يوم القيامة عند الله :

شفاعة النبي يوم القيامة عند الله ﷻ لا تكون إلا بإذن الله له ابتداء ولا يشفع أحد عنده ابتداء، ولذلك لا يشفع الرسول ﷺ حتى يسجد ويحمد الله، ثم يقول الله له يا محمد اشفع تشفع، فالله ﷻ أمره بالشفاعة ابتداء، فلم يقل الرب لمحمد ﷺ ماذا تريد ويقول أريد الشفاعة، بل الله الذي يأمره بأن يشفع فهذا معنى كون الشفاعة ملك لله وبإذنه كما تقدم.

المسألة الرابعة والعشرون : باب الشفاعة من أجلها أرسلت الرسل :

الرسل بعثت لتوحيد العبادة لله وأن الشفاعة كلها ملك لله ولتقول الرسل للمشركين ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٤٤ ومن أجل ذلك حصلت العداوة وجرد السيف، والمشركون جعلوا الشفاعة شرك بين الله وبين آلهتهم فتعلقوا بالشفاعة وكانوا يقولون ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ . فأثبتوا الشفاعة لمعبوداتهم ودعوها وسألوها أن تشفع لهم عند الله، فكان طلب الشفاعة شركا لأن التشفع والدعاء من العبادة التي لا تصرف إلا لله، ولذلك صاروا بطلب الشفاعة من المخلوق وسؤاله عبيداً لغير الله وواقعين في الشرك فاستباح الرسول ﷺ دماءهم.

وتأمل حين ألقي الشيطان في قراءة الرسول ﷺ (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) وهو يقرأ في سورة النجم، سجد كفار قريش معه آخر السورة، وظنوا أن الرسول وافقهم في دينهم .

كل هذا يدل على أن أصل الخلاف هو في باب الشفاعة، وأنها سبب ضلال جميع الأمم المشركة، وحجة وذريعة كل مشرك، وأن قول كفار قريش للرسولﷺ أعبد آلهتنا سنه نعبد إلهك سنه أرادوا من ذلك، أن معبوداتهم تسأل الشفاعة تارة ويدعى ويسأل الله وحده تارة فأنزل الله على رسوله سورة الكافرون، وأخبرهم أن مجرد دعاء غير الله وطلب الشفاعة من المخلوق واتخاذ الوسائط المقربة عند الله هو الشرك الأكبر المخرج من الإسلام، وأن هذا دين الله الذي يقوم على دعاء وعبادة الله وحده، وأن دين المشركين الذي يقوم على دعاء المخلوق وطلب الشفاعة منه يخالف دين الله من أصله وأنهما لا يجتمعان وأن لكل دينه، المؤمن له ملة التوحيد والمشرك الكافر له الشرك وطلب الشفعاء ودعاؤهم مع الله ولا يجتمع التوحيد والشرك .

قال ابن القيم: (وهذه هي الشفاعة الشركية التي بعثت الرسل بالنهي عنها وتكفير فاعلها، والقرآن مملوء بالرد على أهلها وإبطال مذهبهم :﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣. فأخبر أن الشفاعة لمن له الملك فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ السجدة: ٤ .فأخبر أنه ليس للعبد شفيع من دونه، والشفاعة بأذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بأمره وإذنه) إغاثة اللهفان ٢٤٦.

المسألة الخامسة والعشرون : ضابط الشفاعة الشركية :

هي الشفاعة التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . ومن أوضح صورها ما يطلبه المشركون من الأموات الأنبياء والصالحين والمقبورين والملائكة .

السادسة والعشرون:من يطلب شفاعة المخلوق جمع بين أمرين عظيمين وقياسين باطلين :

الأمر الأول : قياس الله تعالى بخلقه وتمثيل الخالق بالمخلوق، حيث جعل هذا المشرك ربه سبحانه محتاجا للشافع مثل ملوك الدنيا .

الأمر الثاني : قياس المخلوق بالخالق ﷻ وتشبيه له، وذلك بجعله يدعى مع الله تعالى وأنه يشفع ويملك الشفاعة ويقدر أن ينفع ويكشف الضر مثل الرب .

المسألة السابعة والعشرون: شرك الدعاء والشفاعة اجتمع عليه كل مشرك:

دعاء غير الله ﷻ وطلب الشفاعة هو القدر الذي يجمع كل المشركين في الدعاء وهو مناط التشابه بينهم من أولهم إلى آخرهم هو إرادة الشفاعة، من الآلهة عند الله فكل من دعا غير الله ﷻ إنما أراد أن تشفع له هذه الآلهة وتقربه إلى الله ﷻ.

كما قال الله ﷻ عنهم : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس:١٨﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر:٣.

قال ابن القيم: « ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة وهي أصل شرك العالم فإن الميت محتاج لمن يدعو له فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم». مدارج السالكين ١/ ٣٤٦ .

المسألة الثامنة والعشرون : الشفاعة أحد أسباب الشرك الاربع :

فالمشرك إنما أشرك مع الله غيره ممن يرجو حصول منفعة فيه، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة وسبب من أربع خصال .

١- أما أن يكون مالكاً للمطلوب .

٢- أو شريكاً للمالك .

٣- أو معيناً وظهيراً له.

٤- أو شفيعاً.

هذه الأسباب الأربعة نفاها الله ﷻ عن كل معبود بالتدرج وأثبت الشفاعة بشرطها وهو التوحيد مع الأذن وذلك في آية سورة سبأ:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

قال ابن القيم : (وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالكاً لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان معيناً له وظهيراً فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر) مدارج السالكين ١/ ٣٤٣ .

المسألة التاسعة والعشرون: كفر من اعتقد جواز الشفاعة ولو لم يطلبها .

الثلاثون : سبب الشرك عدم التفريق بين الشفاعة عند الخالق وعند المخلوق:

أعظم سبب أوقع المشركين في دعاء غير الله ﷻ هو سوء الظن بالله سبحانه وعدم تقديره وعدم معرفة صفاته التي وصف الله تعالى بها نفسه وبيّنها لخلقه .

وعدم تفريقهم بين الخالق والمخلوق في هذا الباب العظيم، ومرجع ذلك كله إلى اعتقاد أنه محتاج لمن يشفع عنده مثل ملوك الدنيا.

وبيانه: أن في إدخال الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه كما هو عند المخلوقين تمثيل شنيع وتشبيه باطل، حيث مثّل الخالق بالمخلوق فالواسطة لا تكون إلا لمحتاج لها والله تعالى ليس في حاجة لها كما هو حال ملوك الأرض، ثم في إثبات الوسائط نفي لرحمة الله فكأن الله تعالى لا يرحم إلا بالواسطة فهو تعالى عن ذلك محتاج لمن يستعطفه ويسترحمه على خلقه وهذا أعظم الظلم، يسلب الرحيم من رحمته والذي هو أرحم الراحمين والذي وسعت رحمته كل شيء، ولذلك من نفى رحمة الله بهذا الأسلوب استحق ألا يرحم ويطرد ولا يكتب في رحمة الله ﷻ ، كما أن في إثبات الشفعاء عند الله وكونها تملك الشفاعة لمن دعاها فيه تمثيل وتسوية لمن خلق من التراب برب الأرباب ﷻ وللعبد الفقير العاجز الضعيف بالملك تعالى مالك الرقاب ومن له الصفات والأفعال، وهذا تناقض من المشرك وتنقص منه لربه وعدوان على مقامه وسوء ظن بخالقه ﷻ شاء أم أبى علم ذلك أو لم يعلم.

فالمشرك مثل الخالق بالمخلوق وما علم معنى الشفاعة، وما فقه كيف يسيء لربه حين يطلب الشفاعة من غيره، يطلب الشفاعة من ملك و نبي أو نحو ذلك فيجعل الله عز وجل كأنه يقول : يا رب لم نطلبك وإنما نطلب غيرك لأنك لا تعلم

بحالنا، وإنما الذي يعلم بحالنا هم الوسطاء، وأنت بعيد عنا لا تعلم حالنا، ولا يوجد منك الرحمة الكافية التي نستعطفك بها وإنما نستعطف الأولياء الذين قربوا منك فيستعطفونك، وهذا هو الكفر البواح والعياذ بالله والشرك الأعظم . وهذا السر في كون طلب الشفاعة من غير الله ﷻ أعظم الشرك والكفر .

ولا ينفع هذا المشرك بعد كل ذلك أن يدّعى أنه ما وضع الوسائط إلا تعظيماً لله تعالى وتأوله وظنه هذا بربه وجهله بحقيقة عمله، فلا عبرة به فليس كل مدع محقا ولا كل مجتهد مصيبا ولا كل كافر عالما عنيدا .

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان ص:٢٤٦: (الفرق بين الشفاعتين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور والخالق والمخلوق والغني والفقير والذي لا حاجة له بأحد والمحتاج من كل وجه إلى غيره، فنفى شفاعة الشريك وأثبت شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه وربه حتى يأذن له، فمن أثبت شفاعة الشركاء الشركية وأشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له تعالى، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فإن قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم ولولاهم لما انبسط ملكهم على الناس فلحاجتهم إليهم يحتاجون لقبول شفاعتهم ولو لم يأذنوا أو يرضوا عن الشافع والمشفوع له لأنهم يخافون إن ردوا شفاعتهم أن تنقص طاعتهم ويذهبوا لغيرهم.

وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا إذنا بل هو سبب محرك له

من خارج كسائر الأسباب وقد تكون الشفاعة مع كراهية المشفوع عنده وعدم رضاه عنها ويقبلها كرها... وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده لا لحاجة الرب إليه ولا رهبة منه ولا رغبة فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة فالرب هو الذي يحرك الشفيع من ملك ورسول ونبي وغيرهم . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضع ومعرفته تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما أثبته الله من الشفاعة وبين ما نفاه) .

الحادية والثلاثون: طلب الشفاعة من المخلوق سبب حرمانها وعدم حصولها :

وبيان ذلك أن الشفاعة لا ينالها أحد إلا بالتوحيد ، وطلبها من غير الله وسؤال المخلوق الشفاعة شرك في الدعاء والعبادة والشرك يحرم صاحبه الشفاعة .

وبهذا يُعلم أن المشركين بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، حين طلبوا الشفاعة بما هو سبب لمنعها وهو الشرك ودعاء غير الله .

ولذلك الشفاعة التي أثبتها المشركون لأوثانهم صرح القرآن ببطلانها ونفيها ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

ومصداق ذلك قول الرسولﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري .

فتجريد التوحيد أعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة، وقد عكس المشركون ذلك فجعلوا الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم فقلب النبي ﷺ ما

في زعمهم الكاذب بكون الشفاعة قائمة على الإذن والرضا ولا يرضى إلا التوحيد وبهذا بطل مراد أهل الشرك .

قال ابن القيم : (تأمل هذا الحديث كيف جعل الأسباب التي تنال بها شفاعته: تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم ، فقلب النبي ما في زعمهم الكاذب ...) .

إغاثة اللهفان ١/ ٢٣٨ ، ومدارج السالكين ١/ ٣٤١ .

وقال ابن تيمية : (الملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة فليس توليهم والاستشفاع بهم هو الذي يوجب أن يشفعوا ... فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين ليشفعوا لهم ودعوهم من دون الله كانت عبادتهم إياهم ودعاؤهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) الفتاوى ١٤/ ٤١٢ .

ولو تأمل هؤلاء الجهال ما هم عليه من سيرة الكفار الأولين الذين عبدوا ودا وسواعا واللات والعزى وعيسى وأمه وغيرهم من المشركين الذين كان أصل قولهم: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣. كما أخبرنا تعالى عنهم، ومع ذلك جاء مشركو أمة محمد بمثل ما قاله أولئك فقالوا: ما نعبد محمداً إلا ليقربنا إلى الله ، ونحن ندعوه ونشركه مع الله في الدعاء ليشفع لنا عند الله، فلو أن لهم عقلاً لعلموا أنهم يسعون في أن يحرموا شفاعة الرسول ﷺ وجنات الخلد ورضوان الرحمن لكفوا عن شركهم وتبريرهم إياه.

أما وإنه سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وحينها يوقنون أن سؤالهم الشفاعة من محمد ﷺ بعد موته هو الذي سيحرمهم نيلها وسيخلدهم ذلك في نار جهنم إن ماتوا على ذلك الشرك العظيم ويقول الله لهم : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ الأنعام: ٩٤ بل ويكفرون بهم ويتبرؤن منهم ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الروم: ١٣، وذلك لأنهم لم يرتدعوا في الدنيا من طلب الشفاعة والله يقول لهم : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣ وأن هذه الشفاعة لا تغني من الله شيئاً والرسل أقاموا الحجة وأنزل القرآن ليحذر الناس من عبادة غيره ودعاء المخلوق كائنا من كان وأن الدعاء لله وحده لا يصرف لغيره، فمن آمن بعد كل هذا فله الجنة ومن أشرك فالنار موعده ولا يعذر بتأوله وجهله، نعوذ بالله من الشرك والضلال والخذلان .

المسألة الثانية والثلاثون : حالات طلب الشفاعة من الرسول والصالحين :

١- إن كان زمن حياته بسؤاله الدعاء له في الدنيا أو أن يشفع له يوم القيامة فهذا جائز وقد فعله الصحابة مع الرسول ﷺ، لكن لا تتم وتحصل إلا إذا أذن الله بها.

٢- إن كان طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته ، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ وسيأتي إن شاء الله .

٣- إن كان طلب الشفاعة حاصل يوم القيامة فهذا جائز لأن الدعاء حاصل بأسبابه الشرعية وذلك بطلب الحي الحاضر القادر وقد ثبت أن الناس يطلبون من الرسل الشفاعة حتى يشفع لهم الرسول ﷺ في الموقف .

المسألة الثالثة والثلاثون: حكم طلب الشفاعة من الحي :

قول البعض للمجاهد لا تنسنا من الشفاعة أو اشفع لنا إن قبلت ، بدعة ليس لها أصل ولايقاس هذا بطلب الصحابة لها من النبي ﷺ ، وأخطأ من حكم بأنها من الشرك الأكبر بحجة أن الشفاعة ملك لله لا تطلب إلا منه ، لأن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ الدعاء والاستغفار وهو من الشفاعة وجاء عند الترمذي أن أنس طلب الشفاعة من الرسول ، فكون الشفاعة ملك لله لا يعني أنه لا تطلب من الحي كما في سؤال أهل الموقف الرسل أن يشفعوا لهم وقد يأذن الله فيها وقد لا يأذن.

ومما هو مقرر عند أهل السنة أنه يجوز طلب الرسول ﷺ حال حياته ما يقدر عليه وأن يدعوا الله لهم ويستغفر لهم ومن ذلك أن يشفع لهم في الآخرة وقد طلبه الصحابة بصيغ متنوعة فعكاشة في السبعين وربيعة بالمرافقة وغير ذلك ومع ذلك فالرسول ﷺ لا يملكها فهو يطلبها من الله فيعطيه أو يمنعه وقد دعا لأشخاص فأجيب ولآخرين ومنع ، ولم يجزم لبعضهم باستجابة دعوته لهم أو حصول شفاعته لهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك خاص بالرسول ﷺ .

ومن أصرح ما دل على هذه المسألة ما رواه الترمذي عن أنس ﷺ أنه قال : سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال : (أنا فاعل) .

قال أبوعيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.

وما جاء عند الإمام أحمد عن زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم :ألك حاجة ، قال حتى كان ذات يوم

فقال: يا رسول الله حاجتي ، فقال : وما حاجتك ؟ قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: ومن دلك على هذا؟ قال ربي ، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.

قول الصحابة للرسول ﷺ استغفر لنا وطلبهم الدعاء منه : من ذلك :

حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين في طلب أبي عامر أن يستغفر له الرسول ﷺ بقوله : قل له يستغفر لي ، فقال الرسول ﷺ : اللهم اغفر لعبيد أبي عامر . فقال أبو موسى ولي يا رسول الله فاستغفر .

حديث عكاشة في السبعين ألف وقوله للرسول ﷺ : (ادع الله أن يجعلني منهم) فقال : (اللهم اجعله منهم) رواه الشيخان . فشفع الرسول ﷺ في عكاشة بدعائه له أن يكون منهم حتى صار منهم.

حديث ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه ، فقال: لي سل ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : أو غير ذلك ؟ قلت: هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم .

وقال ﷺ : (ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه) رواه مسلم وفي حديث آخر شفعهم الله فيه .

المسألة الرابعة والثلاثون: الشفاعة يدخلها التوحيد والشرك :

يجب أن نوحد الله بالشفاعة ونوحد الله في طلبها منه وحده لأنها ملك لله ، ولأن الدعاء عبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله .

والشفاعة يدخلها الشرك .

وبذلك يصح أن يقال : توحيد الشفاعة وشرك الشفاعة والشفاعة الشركية .

المسألة الخامسة والثلاثون: الشفاعة شرك من جهتين :

١- فيها دعاء غير الله .

٢- فيها مشاركة الله في الشفاعة ومنازعته في أمر ملك له ولذلك سمّى الله ﷻ الشفعاء بالشركاء، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾ الروم: ١٣.

المسألة السادسة والثلاثون: الاستغاثة أعم من الشفاعة :

وبيانه أنه إذا كان المدعو شفيعا كانت شفاعة وإن كان مستقلا لم تكن شفاعة .

فقول المشرك : يا محمد أغثنا فهذه استغاثة وليست بشفاعة .

أما قوله: يا محمد اشفع لي عند الله يغيثني أو يقول استغث لنا، فهذه الشفاعة.

فالشفاعة ما جعل فيها الداعي واسطة بينه وبين الله تقرب له وتشفع عنده .

المسألة السابعة والثلاثون : شبهات في باب الشفاعة :

طلب حصول الشفاعة من أعظم الذرائع التي سببت الشرك ، وهي من أكثر الشبه تعلق بها المشركون ، المتقدمون منهم والمتأخرون فيما يتعلق بعلة وقوعهم في الشرك التباسهم في موضوع الشفاعة ، وعدم تفريقهم بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية وعدم تفريقهم بين التوحيد والشرك الذي حرمه الله ﷻ ولا يغفر لصاحبه .

ومن الشبهات الفرعية المتعلقة بهذا الباب :

١- أن الله أعطى الرسول ﷺ الشفاعة في الموقف وشفاعته مقبولة مطلقاً فيجوز أن نطلبها منه .

٢- أن الرسول ﷺ حي في قبره فنسأله الشفاعة بعد موته وهو في قبره .

٣- أن الكفر والشرك عبادة الشفعاء واتخاذها معبودة وآلهة وليست في دعائها وفي طلب الشفاعة منها.

الرد على شبهة الشفاعة :

١- أن الله نفى الشفاعة وجعلها ملكاً له لا تطلب من غيره ، ولا تطلب منه إلا بأذنه ورضاه .

٢- أن الشفاعة عند الله ليست مثل الشفاعة عند البشر .

٣- لا دليل لهم في طلب الشفاعة من الرسول لم يأمر به الرسول ﷺ ولا فعله الصحابة والتابعون مع الرسول بعد موته .

٤- أن الرسول ﷺ لا يشفع إلا بعد أن يأمره الله بالشفاعة، وقد رد الله ﷻ شفاعته في بعض المنافقين والمشركين فكيف تطلب منه.

نختم باب الشفاعة بكلام نفيس للإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان ص:٢٤٦ .

قال رحمه الله: (فصل في الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين :

زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء : تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، والإحسان إلى الميت بالدعاء له ، وإحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة .

والزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبّاد الأصنام . قالوا: الميت المعظّم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر، قالوا: فتمام الزيارة على هذا الوجه أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه وقصده للميت، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت الأصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو

الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وإسراجها وبناء المساجد عليها، وهذا الذي نهى الرسولﷺ عنه وحذر منه وأراد إبعاد أمته عنه، وهذه هي الشفاعة الشركية التي بعثت الرسل بالنهي عنها وتكفير فاعلها، والقران مملوء بالرد على أهلها وإبطال مذهبهم :﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ الزمر: ٤٣. فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم عبده، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ السجدة: ٤ . فأخبر أنه ليس للعبد شفيع من دونه، والشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بأمره وإذنه.

والفرق بين الشفاعتين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور والخالق والمخلوق، فنفى شفاعة الشريك وأثبت شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه وربه حتى يأذن له، فمن أثبت شفاعة الشركاء الشركية وأشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له تعالى، فإن هذا ممتنع وتشبيه الرب على الملوك والكبراء حيث يتخذون من خواصهم من يشفع عندهم في الحوائج، وبهذا القياس عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بين الشفاعتين هو الفرق بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والغني والفقير والذي لا حاجة له بأحد والمحتاج من كل وجه إلى غيره، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فإن قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم ولولاهم لما انبسطت

أيديهم وملكهم على الناس فلحاجتهم إليهم يحتاجون لقبول شفاعتهم ولو لم يأذنوا أو يرضوا عن الشافع والمشفوع له لأنهم يخافون إن ردوا شفاعتهم أن تنقص طاعتهم لهم ويذهبون لغيرهم وهذا خلافا للرب المالك الغني القاهر وحده سبحانه، وهذه الشفاعة التي نفاها الله وهي الشفاعة الشركية .

وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا إذنا بل هو سبب محرك له من الخارج كسائر الأسباب وقد تكون الشفاعة مع كراهية المشفوع عنده وعدم رضاه عنها ويقبلها كرها... وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرب إليه ولا رهبة منه ولا رغبة فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة فالرب هو الذي يحرك الشفيع من ملك ورسول ونبي وغيرهم ... ومن وفقه الله لفهم هذا الموضع ومعرفته تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما أثبته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله) .

مبحث :قول الشفاعة يا محمد أو اشفع لي يامحمد

هذه اللفظة توجد عند بعض العامة، ويظنون أن الرسول ﷺ لما كانت له الشفاعة يوم القيامة وأن الله أعطاه إياها أن ذلك مجوزا لأن تطلب منه في الدنيا ويسألونها منه وهو ميت . وهذا باطل فإن قول الشفاعة يا محمد أو أشفع يا محمد شرك أكبر مخرج من الملة والعياذ بالله وبيان ذلك يأتي من أوجه :

الأول : أن الشفاعة يا محمد داخلة في عموم دعاء غير الله، في قولهم: يا محمد المشتملة على يا النداء، والتي تعني دعاء المسألة، والدعاء عبادة لا تصرف إلا لله.

الثاني : أن طلب الشفاعة من غير الله واتخاذ الوسائط هو شرك جميع الأمم :

فإن قول هؤلاء الشفاعة يا محمد مثلها مثل ما يفعله مشركوا النصارى الذين اتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله في قولهم اشفع لنا يا عيسى عند الله، ويا ملائكة الله اشفعي لنا ومثل ما كانت تفعله العرب من الشرك في قولهم يا اللات والعزى اشفعي لنا عند الله وكما كان يستشفع قوم نوح بآلهتهم بود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ويطلبون منها الشفاعة: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ﴾ .

الثالث : أنها دعاء لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وطلب الشفاعة من غيره فالشفاعة ليست من مقدور أحد وليست ملك لأحد غير الله وهذا شرك أكبر .

الرابع : أنها دعاء للنبي ﷺ بعد موته فتدخل في طلب ما لا يقدر عليه إلا الله، وإن من الأمور المجمع عليها كفر من دعا الأموات وخاطبهم وناداهم وسألهم.

الخامس : أن الشفاعة ملك لله وحده فليس لأحد أن يطلبها من غيره.

السادس : أن الشفاعة التي للرسول ﷺ مقيدة وليست مطلقة، قيدها الله عز وجل بإذنه وبرضاه ويوم القيامة وهو حاضر حي ليس بميت وليس له في الدنيا الشفاعة. ويوم القيامة لا يشفع الرسول ﷺ للناس إلا بعد أن يأذن الله ويأمره بها.

الفصل الثاني : حقيقة الواسطة وشرك الوسائط

المسألة الأولى : تعريف الواسطة في اللغة :

قال ابن فارس الواو والسين والطاء تدل على العدل والنصف .

وتوسط الشيء صار بين طرفيه والرجل أوسط قومه أي أرفعهم محلاً، والواسطة الوسيلة والسبب والشيء الذي يتم به الانتقال لطرف آخر ويقرب إليه .

الثانية : أسماء الواسطة والألفاظ المرادفة لها :

الشفاعة ، الزلفى ، التقرب والمقرب والتقريب ، الوسيلة ، الدعاء ، المنزلة ، السبب ، القبلة .

الثالثة : المراد بالواسطة وتعريفها:

كل ما يتقرب به العبد إلى الله ويتوصل به إليه .

والتوسط هو ابتغاء الواسطة إلى الله أي الاجتهاد في فعل ما يقرب إليه .

قال ابن القيم في المدارج : (وبالجملة فتجعل الرسول شيخك ومعلمك ومربيك ومؤدبك وتسقط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ ، كما تسقط الوسائل بينك وبين المرسل في العبودية ، ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهية ورسالته إليك وهذان التجريدان هما حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وقال المقريزي في تجريد التوحيد : (التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الإلتفات إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى وهذا المقام يثمر التوكل وترك الشكاية، والرضا عن الله والتسليم له).

وقال ابن تيمية في الاستغاثة : (الوسيلة بين العباد وبين ربهم ﷻ الإيمان بالرسل وطاعتهم).

وقال الألوسي : (ليس لنا وسيلة إلى الله إلا الدعاء المبني على أصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التي أمرنا الله بالتوسل به).

الرابعة: المراد بالواسطة عند المشركين :

بالغ المبتدعة والمشركون في اعتقاد الوسائط والغلو فيها حتى اختلقوا حديثاً مكذوباً وضعوه على الرسول ﷺ : (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) .

فتعلقوا بالأحجار والأشجار والقبور والأوثان وسألوها كل شيء وطلبوا منها دفع الضر وجلب النفع ورجوها في حصول الخير ودفع الشر فتعلقوا بالأموات والأولياء في قبورهم وعبدوهم من دون الله بدعوى التقريب والشفاعة عند الله وهذا حال جميع المشركين .

الخامسة: أقسام الواسطة بين الله وبين خلقه عند أهل السنة:

١- واسطة التبليغ والرسالة : وهي الواسطة التي من الله إلى عباده .

وهي الواسطة التي تبلغ وحي الله للناس من الملائكة الرسل والأنبياء فهم الواسطة بيننا وبين ربنا تبارك وتعالى .

٢- واسطة العبادة والوسيلة والقربة من العباد إلى الله .

وهي الواسطة التي تقرب إلى الله وتنجي من عذابه وتدخل جنته وهي المقصودة بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ

وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ المائدة: ٣٥، وهي فعل الطاعات وترك المحرمات وهي التي تقرب إلى الله وبها نتوسل عنده ونتوسط بها لديه .

كذلك من هذا القسم الشفاعة يوم القيامة لأهل التوحيد بإذن الله ورضاه ولا تكون هذه في الدنيا .

٣- الواسطة الشركية :

وهي أن يجعل بين الله تعالى وبين خلقه ما يقربهم إليه زلفى ويشفع لهم عنده من المخلوقين، فيتوسل بها العبد إلى الله بدعاء الله بها وهذا التوسل البدعي أو بدعائها من دون الله وطلبها أن تقرب داعيها إلى الله وتشفع له عنده، وهذا هو الشرك الأكبر والكفر البواح .

السادسة: أقسام الواسطة والوسيلة المحرمة :

١- الواسطة البدعية : وهي دعاء الله بوسيلة محرمة .

مثل قولهم: اللهم إني أسألك بحق نبيك أو جاهه أو بذاته.

وهذا توسل بدعي باطل محرم لكنه ليس بشرك أكبر.

٢- الواسطة الكفرية الشركية : وتكون بدعاء المخلوق من دون الله والتوجه إليه بأن يقربه إلى الله ويشفع له عنده وسؤاله وطلبه ذلك .

وهذه عبادة للمخلوق من دون الله لأن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله كما تقدم ولا تسمى وسيلة إلا عند الصوفية والرافضة .

السابعة : من كفر الرافضة والصوفية في واسطة التبليغ :

أنهم زعموا أن الوحي لم ينقطع بموت الرسول ﷺ بل هو مستمر على الأئمة والأولياء وأن الله يرسل الملائكة إليهم بل ويخاطبهم الله ويلهمهم ويكشف لهم الحقائق .

الثامنة : أقسام الواسطة الشركية وطرق المشركين فيها :

١- طريقة مشركي العرب ومعظم الأمم : الطلب والسؤال :

دعاء الوسائط والألهة وطلب الشفاعة منهم .

٢- طريقة الفلاسفة والصابئة وعباد الكواكب: الإفاضة :

حيث يرون أن الكواكب العلوية الروحانية هي الواسطة بين الله وبين خلقه، وقالوا الواحد لا يصدر عنه إلا واحد فأثبتوا العقول العشرة واسطة بينه وبين العالم الجسماني، وطريقتهم في شفاعة الألهة وواسطتهم بدون سؤال وطلب صريح، وإنما بالتوجه والالتجاء فيفيض لهم بركة الإله والواسطة .

فالشفاعة والواسطة عند هؤلاء :

إذا توجه المستشفع إلى من يعظمه فإنه يتصل بذلك المعظم المستشفع به فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على المستشفع من جهة شفيعه، ويقولون: نحن إذا توجهنا إلى هؤلاء بالدعاء لهم وسؤالهم والعبادة لهم فاض علينا ما يفيض منهم وفاض عليهم مايفيض من جهة الله تعالى .

ويقولون: إن الله عام الفيض وإذا لم يحصل فيضه لأحد فذلك للمانع أو عدم استعداده بنفسه لقبول الفيض لكن صالح لأن ينالها بواسطة مثل شعاع الشمس تشع بضيائها فمن تعرض لها ناله شعاعها ومن استتر بظل ونحو لم يناله مباشرة

وبنفسه ولكن يمكن أن يناله شعاعها بطريق الواسطة كالمرآة تعكس الشعاع على المستظل وكلما كانت أجلى كان الانعكاس أشد، قالوا وأرواح الأنبياء لشدة صفائها كانت واسطة تعكس أشعة الفيوض الربانية إلى الخلائق في عموم البركات والخيرات كما كانوا وسائط في إبلاغ الشرائع والأحكام . أنظر تفسير الرازي ٣/ ٧٥ .

وقالوا للعالم صانع منزه عن صفات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيات المطهرون المقدسون عن المواد الجسمانية والقوى الجسدية والحركات المكانية والتغيرات الزمانية جبلوا على الطهارة والتقديس، فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم، وهم آلهتنا وأربابنا ووساؤلنا وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب وإله الألهة، ثم يحاولون أن يصلوا لشفاعتهم بالرياضات وترك الطعام والسحر والعزائم والشهوات . أنظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

وظنوا أن الشفاعة تشفع لتعلق الشفيع بالمشفوع وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، وشبهوا ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرآة والمرآة تطرح شعاعها على الحائط والأجسام فالشفاعة عبارة عندهم عن نور يشرق من الإله على جوهر النبوة وينتشر منها لكل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة لشدة المحبة والمواظبة على السنن . من كلام الغزالي في المضنون .

وقال ابن تيمية : (وللناس في الشفاعة أنواع في الضلال فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي سبب اتصال روح الشافع بروح المشفوع له فمن كان أكثر صلاة على النبي وأحسن ظناً وتعظيماً كان أحق بالشفاعة).

تنبيه : سبب قول الفلاسفة هذا في الشفاعة: أن الله ليس بفاعل مختار يحدث الحوادث بمشيئته واختياره، بل هؤلاء قالوا الله أوجد العالم بذاته فهو علة العلل .

قال ابن تيمية عن أقسام الوسائط وأنواع إجابتها عند أهل الشرك :

(فالمشركون من الفلاسفة القائلين بقدم العالم هم أعظم شركاً وما يدعونه من الشفاعة لآلهتهم أعظم كفراً من مشركي العرب، فإنهم لا يقولون: إن الشفيع يسأل الله والله يجيب دعوته كما يقوله المشركون الذين يقولون إن الله خالق بقدرته ومشيئته فإن هؤلاء عندهم أنه لا يعلم الجزئيات ولا يحدث شيئاً بمشيئته وقدرته وإنما العالم فاض عنه فيقولون: إذا توجه الداعي إلى من يدعوه كتوجهه للموتى والقبور أو الأرواح العالية فإنه يفيض عليهم ما يفيض ذلك المعظم الذي دعاه واستغاث به وخضع له من غير فعل من ذلك الشفيع ولا سؤال منه لله تعالى، كما يفيض شعاع الشمس على ما يقابلها من الأجسام الصقيلة كالمرآة وغيرها، ثم ينعكس الشعاع من المرآة إلى الجسم الآخر حائط أو غيره - فعباد القبور - مقصودهم بها طلب الحوائج من الميت والغائب إما بطلبها منه أو يطلب منه أن يطلبها من الله وإما أن يقسم على الله به وهؤلاء يقولون: إن ذلك المدعو يطلب تلك الحاجة من الله أو أن الله يقضيها بمشيئته واختياره للإقسام على الله بذلك المخلوق، أما أولئك الفلاسفة فيقولون: بل نفس التوجه إلى هذه الأرواح يوجب أن يفيض منها على المتوجه لها كما يفيض الشعاع من الشمس من غير أن تقصد هي قضاء حاجة أحد (حاجة من توجه إليها) ومن غير أن يكون الله يعلم بشيء من ذلك على أصلهم فتبين أن شرك هؤلاء واتخاذ الشفعاء الذين يشركون بهم أشد من مشركي العرب). الرد على المنطقيين ٥٣٥.

التاسعة: إجماع الكفار على طلب الوسائط والشفعاء وهذا دين جميع المشركين:

ذكر الله حقيقة دينهم في أصلين من كتابه :

الأول: في قولـه تعـالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

والثاني: في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ﴾ الأحقاف: ٢٨.

وسمى الله فعلهم عبادة في الآية الأولى المتعلقة بالوسائط المقربة بقولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ الزمر: ٣ .

وسمى الله فعلهم عبـادة في الآيـة الثانيـة المتعلقـة بالـشفعاء بقولـه تعـالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨.

العاشرة: عمدة مشركي زماننا في الواسطة :

يستدل مشركو زماننا على كفرهم وطلبهم الوسائط بقولـه تعـالى : ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥ وقولـه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧.

ويزعمون أن الوسيلة هي الوسائط من الأوليـاء والأمـوات ونحـوهم وهـي التي تشفع لهم عند الله تعالى .

ولا حجة في الآيتين على ماذهبوا إليه من الكفر وتجويز الشرك، والجواب عـن قولهم الفاسد واستدلالهم الباطل :

أن معنى هذه الآيات المرجع فيه لقول السلف وأئمة التفسير :

فمعنى الوسيلة عندهم في الآية الأولى: هي الطاعة وعبادة الله وليس الشركاء والآلهة ودعاء الأموات والأولياء كما يزعمون .

وفي الثانية: أن من يشرك به من الملائكة وعيسى والأولياء هم أنفسهم يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله فهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه فأنتم أيها المشركون أولى بأن تخافوا الله فاعبدوا الله وحده واتركوا عبادة هؤلاء الصالحين .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٦ - ٥٧.

فهؤلاء المدعوين من أمثال عيسى والملائكة هم أنفسهم يريدون ما عند الله ويبتغون الله بفعل الوسيلة المشروعة بالأعمال الصالحة ويخافون عذابه وهذا ملزم لمن يعبدهم أن يعبد من يعبدون الذي بيده النفع والضر .

وقد نفى الله ﷻ قبول الشفاعة عنده إلا بإذنه ورضاه : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣.

قال ابن تيمية في الواسطة بين الحق والخلق : (من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس

يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا السؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أنداداً).

الحادية عشرة : الشفاعة في الآخرة هي من الوسائط الشرعية :

الشفاعة في الآخرة هي من الوسائط الشرعية وهذا بخلاف طلب الشفاعة في الدنيا من الأولياء والأموات والنبي ﷺ بعد موته فإن هذه من الوسائط الباطلة والشفاعة المنفية المنكرة الشركية، وذلك لأنها طلب من المخلوق أمر لا يقدر عليه ولا يملكه ولم يأذن الله في ذلك ويرضاه.

وهذه الحجة الباطلة حجة كل مشرك طلب الشفاعة من الألهة ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

الثانية عشرة : سبب وجود الوسائط الشركية القياس الفاسد :

قاس المشركون الرب ﷻ ملك الملوك بملوك الدنيا، فإنهم لما كانوا محتاجين للواسطة وما ذاك إلا لجهلهم أو عجزهم أو لعدم رحمتهم، علاوة عليه فإن الشفاعة تحصل عندهم من غير إذنهم ولا رضاهم إما لخوف أو لتحصيل مصلحة في دنياهم وحفاظا على ملكهم في الدنيا لزم أن يكون عندهم الوسائط والشفعاء، أما الله تعالى فهو منزه عن ذلك كله، فكيف يجعلون الله تقدس وتعاظم مثل هؤلاء الخلق المساكين .

الثالثة عشرة : أنواع الشرك في الوسائط :

١- وسائط تأله تعطى صفات الألوهية:

وذلك بدعائها وسؤالها الشفاعة عند الله فيشرك بها في الألوهية .

٢- وسائط تعطى صفات الربوبية وأفعال الرب تعالى:

وذلك بسؤالها مع اعتقاد أنها تملك النفع والضر وأن لها التصرف والقدرة الكاملة مطلقاً واستقلالها بذلك فيشرك بها في الربوبية .

الرابعة عشرة : إسقاط الوسائط :

غلاة المشركين والقبورية يسقطون الواسطة فيجعلونها رباً وإلهاً يدعى مباشرة واستقلالاً من دون الله، فلا يقولون لها اشفعي لنا عند الله ليغفر لنا واسأليه أن يرزقنا إنما يطلبونها ويسألونها أن ترزقهم هي وتغفر لهم من دون الله، وهذا شرك في الربوبية وهو أعظم من مجرد الشرك في الألوهية، فهؤلاء يقولون لها اغفري لنا وانصرينا وارزقينا ولا يقولون لها كما يقوله عامة أهل الشرك: اطلبي الله أن يرزقنا وينصرنا أو استنصري الله لنا بل يطلبونها استقلالا .

الخامسة عشرة: الغلو في الواسطة :

غلا كثير من القبورية المشركة فرفعوا الواسطة من كونها تشفع عند الله لنيل النفع ودفع الضر إلى كونها بذاتها تنفع وتضر وبيدها الخير والشر .

السادسة عشرة: باب الوسائط له ارتباط بالشفاعة والتوسل وشرك الدعاء:

لأن شرك الدعاء قائم على الوسائط، ولذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة).

السابعة عشرة: تعلق القبورية بالأسباب وغلوهم فيها، وابتداعهم وسائط يزعمون أنها مقربة كالدعاء في المقابر والصلاة عندها أو دعائها والاستغاثة بها .

الثامنة عشرة: جعل الله واسطة عند خلقه وشفيعاً للداعي عند الله :

يقول البعض (الشفاعة يا الله – أو يا الله اشفع لنا عند فلان أو الولي واسطتى الله عز وجل وشفاعتي بالله عز وجل) ، **وهذا يحتمل أمرين اثنين:**

الأول: إن قصد الشافع أن الله هو الشافع والمتوسط عند خلقه أو أنه كالواسطة يتوسط له عند المخلوق من ملك وغيره فهذا قد استشفع بالله وقد نزل الله تعالى عن منزلته، وقال قولا عظيما واعتقد اعتقادا فاسدا وارتكب أمراً محرماً ووقع في سوء الأدب مع الله، فإن الله تعالى أعظم شأنا من أن يشفع عند أحد فالكل خلقه وعبيده، وقد غضب الرسول ﷺ على الرجل الذي قال:(نستشفع بالله عليك) وأنكر عليه هذا اللفظ .

فعن جبير بن مطعم ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ : (سبحان الله! سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي ﷺ: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) رواه أبو داود.

الثاني: إن قصد التوكل وأن الأمر كله لله عز وجل ، فهذا يجوز ولكن هذا اللفظ الأولى تركه، لوجود الإيهام فيه والقاعدة (أن أي لفظ يوهم فإن الله أمرنا

بتركه) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ البقرة: ١٠٤ فهذا يدل على أن الإنسان يجب أن يتقيد بالألفاظ الشرعية التي لا إيهام فيها .

التاسعة عشرة: أنواع الوسائط :

١- ما كان من جهة القرب والتقرب والتزلف وهي المطلوبة في جلب النفع والخير : ﴿ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ الزمر: ٣.

٢- ما كان من جهة التشفع وهي المطلوبة لكشف الكرب ودفع الضر : ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ .

وسمى الله فعلهم عبادة في الآيتين كما تقدم .

وتنقسم أيضا إلى :

١- واسطة من الله إلى الخلق: بالرسل والأنبياء والملائكة وهي المبلغة أمر الله.

٢- واسطة من المخلوق إلى الله وهي أنوع :

مشروعة : وهي الأعمال الصالحة .

باطلة : وهي اتخاذ الأنداد والشفعاء والوسائط .وهذا من أعظم أنواع الشرك الذي كفر بها المشركين .

العشرون : أسباب الوسائط عند البشر وملوك الدنيا:

١- الجهل وعدم العلم: إما لإخبار الملوك من أحوال الناس وأمور دوهم بما لا يعرفونه والله يعلم كل شيء ومن قال غير ذلك كفر .

٢- العجز وعدم القدرة: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلابد له من أنصار وأعوان، والله سبحانه له القدرة التامة فلا

يحتاج معها إلى ظهير ولا ولي من الذل، وكل ما في الوجود أسباب وهو الخالق المدبر والمليك وحده .

٣- الجور وعدم الرحمة: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك، فإذا خاطب الملك من ينصحه أو له جاه ومكانه عند الملك أو الملك يهابه ويخاف منه أو يرجوه، فيقبل شفاعته .

وتتحرك إرادة الملك ورحمته لقضاء حوائج رعيته وإن كان ذلك قد يحصل من غير إذنه ولا رضاه .

والرب ﷻ ليس بحاجة ولا يرجو أحداً ولا يهاب وهو الرحيم سبحانه الغني الحميد فلا يشفع أحد عنده إلا من بعد إذنه ورضاه والشفاعة كلها ملك له سبحانه وتعالى بل إن الرسول ﷺ في الموقف لا يشفع ابتداءاً وإنما يأمره الله بالشفاعة حين يقول الله ﷻ له: (ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع) متفق عليه.

الحادية والعشرون: من أثبت الوسائط والشفعاء عند الله فيلزمه أحد أمور :

١- أن يكون الله لا يعلم بأحوال خلقه وحوائجهم .

٢- أن يكون عاجزاً عن نفع خلقه غير قادر إلا بالشفعاء .

٣- أو أن الرب يرجو أحداً من خلقه ويخافه .

٤- أن يكون هناك من يكره الله على خلاف مراده .

٥- أن الله لا يرحم إلا باستعطافه .

والله سبحانه بين بطلان هذه وأنها تلزم من اتخذ الشفعاء كما قال : ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يونس: ١٨ ردا على مزاعم المشركين في قولهم ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

الثانية والعشرون : شبهات أهل الوسائط الشركية :

هي نفس الشبهات في شرك الدعاء وطلب الشفاعة : ومنها:

الأولى: منع المشركين والقبورية العصاة والمذنبين من التوجه إلى الله مباشرة لكونهم بعيدين عن الله والله لا يحبهم لتقذرهم بالمعاصي ولبعدهم عنه فلا بد لهم من البحث عن واسطة سالمة من الذنوب لها مكانة عند الله قريبة منه ولها حظ عنده محبوبة له للتوسط لهم عند الله، فتشفع لهم عنده بطريق الدعاء، أو بطريق الفيض كما هو مذهب الفلاسفة .

الثانية: قياس القبورية الواسطة الشركية في العبادة على الواسطة في التبليغ .

الثالثة: زعم القبورية أن اتخاذ الوسائط ودعاءها هو من تعظيم الأولياء بل ومن تعظيم الله وتعظيم شرعه ودينه .

وقالوا: إن المراد بالوسيلة ليس التقرب إلى الله بالطاعة وإنما الوسيلة الوسائط الشركية من الأموات ونحوهم .وزعموا أنه ليس مقصدهم من اتخاذ الوسائط والشفعاء إلا تعظيم الله فوقعوا في تنقيصه.

ومن ذلك زعم القبوري زيني دحلان وغيره من المشركين أن دعاء الأموات والغائبين بطريق التسبب والشفاعة لا يضر ما لم يعتقد التأثير لهم ويشركهم مع الله .

وهو بذلك يجوز دين إخوانه من أعداء الرسل ويحكم بإسلام أبي لهب وأبي جهل لأنهم ما دعوا اللات والعزى إلا لتقربهم إلى الله زلفى ولتشفع لهم عند الله وهم رجال صالحين وليس لأنها تؤثير وتخلق وتدبر .

وهذه الشبهة على مخالفتها للعقل وفسادها وكونها شبهت الله تعالى بخلقه في عدم رحمتهم واحتياجهم الواسطة لجهلهم وعجزهم وخوفهم وعظمة المخلوق، هي مع ذلك مخالفة لصريح القرآن والسنة الناهي عن دعاء غير الله وترك دعاء المخلوق، ودين الأنبياء القائم على التوحيد وعبادة الله وسؤاله وحده وتكفير أقوامهم وقتالهم حين طلبوا الوسائط بهذه الصفة وكانت هذه سمة وسجية لكل مشرك، كما ذكر الله تعالى ذلك في قوله عنهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾.

مبحث: طلب الدعاء من الميت (عبارة: يا نبي الله أو يا ولي الله ادع الله لي)

صورة المسألة : أن يقول قائل لميت عند قبره أو بعيدا عنه يا فلان: ادع الله لي. سواءً كان الميت نبينا محمد ﷺ أو غيره .

وهذه المسألة خصصناها بالذكر لوجود شبهة فيها عند بعض جهال المتأخرين الذين قالوا: إن هذه اللفظة أو هذا الدعاء ليس من دعاء غير الله ﷻ وأن هذا ليس شركا أكبر وإنما من باب الشرك الأصغر أو أنه من الدعاء المحرم .

سبب قول هؤلاء : كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه التوسل والوسيلة لم يفهموا معناه : قال رحمه الله : (الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين ادع الله لي أو ادع لنا ربك أو اسأله لنا كما تقول النصارى لمريم وغيرها فهذا أيضاً غير جائز وأنه من البدع) .

ففهموا أن في قوله: (فهذا غير جائز ومن البدع) ، أن هذا دليلا على أنه ليس شركاً أكبر لأنه لو كان شركا أكبر ما قال (بدعة) .

والحقيقة : أن قول: يا نبي الله ادع الله لي هو من الشرك الأكبر وليس من الشرك الأصغر، وهي مثل أن يقول الإنسان: يا رسول الله اشفع لي وأغثني.

وردنا على قولهم الفاسد من أوجه كثيرة:

الأول : أنهم لم يأتوا على هذا القول العظيم الفاسد بدليل من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسوله ﷺ ولا ببيان واضح من أهل العلم، بل النصوص الصريحة الصحيحة تدل على أن دعاء غير الله تعالى مطلقاً شرك أكبر مخرج من الملة وقد ذكرنا

ذلك في شرح الناقض الثاني ولم نفرق بين صفة وصفة، بل إن قولهم يخالف الأدلة المحرمة لدعاء غير الله ﷻ .

الوجه الثاني : أن قول ابن تيمية رحمه الله (بدعة) لا يعني أنه ليس بشرك أكبر فالأصل أن كل شرك بدعة ، لأن التوحيد هو الأصل وهو السنة المتبعة وهو دين الله تعالى وهو الذي نزل به آدم وأتى به نوح عليهم السلام، والشرك كان دخيلاً على الناس فهو بدعة من هذا الباب .

الوجه الثالث : أن في كلام ابن تيمية رحمه الله رداً على من فهم هذا الفهم حيث قال : (كما تقول النصارى لمريم وغيرها) .

وهل ما تقوله النصارى لمريم من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر ؟!

فإن قالوا : إنه من الشرك الأصغر، فهذا من غاية البطلان إذ أن كفرهم وشركهم متفق على أنه شرك أكبر كدعائهم لمريم وغيرها .

وإن قالوا: شرك أكبر فمعنى ذلك أنه شرك على لسان ابن تيمية، وقوله أن هذا من البدع لا يعني أنه ليس بشرك أكبر وهذا هو الحق والصواب أن في قوله: (إنه غير جائز وأنه من البدع) أنه لا يخرج من كونه شركاً أكبر ولا يعني أنه أصغر ولا يفهم من الكلام غير ذلك.

الوجه الرابع : أن لشيخ الإسلام ابن تيمية نقلا آخر يبين فيه خطأ ما توهمه هؤلاء حيث يقول: (وأن إثبات وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك

يسألون الملوك حوائج الناس بسبب قربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم للملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم للوسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٨.

ووجه الشاهد في قوله :(فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله) كأن يقول يا فلان اسأل الله لي وادع الله لي، وفي هذا دلالة على أن دعاء الخلق وسؤالهم بقول: (يا فلان ادع الله لي) أنه شرك أكبر .

الوجه الخامس : أن من قال : يا ولي الله أدع الله لي فقد أشرك، لأن الميت لا يقدر على الإجابة، ودعاء الأموات مطلقا شرك أكبر ولا يكون شركا أصغر، لأنه دعاء من لا يقدر على شيء ، وهذا من باب الشرك الأكبر.

السادس : أنه لا فرق بين قول القائل(ادع الله لي) وبين أن يقول: (اشفع لي) :

فكلاهما فيه اتخاذ واسطة للشفاعة وطلب الدعاء وسؤال للميت ما لا يقدر عليه، فهي بمعنىً واحد، وأما قولهم: إنه ليس بدعاء، فإنه يقال: ما معنى (ياء) النداء في قول: (يا ولي الله اشفع لي) و(ياولي الله ادع الله لي) ونحو ذلك .

الوجه السابع : أن اعتقاد أصحاب هذا القول أنه لا يكفر قائل هذه العبارة حتى يقارن قوله الاعتقاد في المدعو، هو عين قول الصوفية القائلة أن لا نعتقد فيهم النفع والضر وإنما ندعوهم لأجل الشفاعة والتقرب .

الوجه الثامن : أننا نقول: ما الفرق بين دعاء الجن والملائكة ودعاء غير الله ﷻ وقولهم يا نبي الله ادع لي ؟ فما الفرق بين أن يقول : يا جن افعلي لنا وأعيذينا، وبين أن

تقول : يا ولي الله ادع الله لي أو يا ملك ادع الله لي فكلاهما بمعنى واحد بل دعاء الميت أشد كفراً وأظهر شركا ولذلك من قال : إن دعاء الملك أو الجن في قوله يا جن ويا ملائكة ليس شركاً فقد خالف الكتاب والسنة فكيف بدعاء الميت بأن يقال يا ولي وقد مات فهو شرك بالإجماع .

الوجه التاسع : أن هذا يخالف ما ثبت وما تقرر عند أئمة الدين وأجمعوا عليه أن دعاء غير الله ﷻ من باب الشرك الأكبر، ومن ذلك قياس دعاء الأموات بدعاء الملائكة ومن أقوال أهل العلم :

قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين: (ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته وأن يشفع له إلى الله فيها).

والشاهد: (سأله أن يشفع له إلى الله) فهو بمعنى أن يقول : يا نبي الله ادع لي .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (إن جاز التعلق بالأموات، جاز أن يستظهر العبد بالحفظة والملائكة الذين هم لا يفارقونهم بيقين، وهذا لا يقوله مسلم أصلاً، بل لو فعله أحد لكان شركاً بالله، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه لا يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها) مجموع الرسائل٤/ ٣٨٥ .

قال الشيخ عبد اللطيف يبين حقيقة هذه اللفظة : (في أن قول القائل يا فلان الميت ادع الله لي بالهداية مثل قول يا فلان الميت نجني أو نحو من ذلك، فإن في سؤال

الميت مما لا يملك ولا يقدر عليه الأموات فلا يقدرون عليه فقد أشرك بالله ﷻ) مصباح الظلام ص: ٢٥٨ .

وقال: (وأما تخصيص الشرك في هداية القلوب وشفاء المريض وإنبات النبات وطلب الدنيا ونحو من ذلك ، فإن ذلك من جهله ؛ فإن الأسباب العادية التي لا يستطيع الإنسان في حياته تنقطع بموته كما في الحديث :" إذا مات ابن آدم انقطع عمله .." وبذلك تصير طلبتهم في حكم فيما لا يستطيع في حياته ...وقد تقدم القول يا والي المسيح اشفع لنا عند الله شرك).

والشاهد في قوله (أن تشفع بالدعاء)، فالطلب بالدعاء داخل فيما يسمى طلب الشفاعة، ومن قال: يانبي الله ادع الله أن تشفع لي، هو مثل أن يقول: اشفع لنا.

فلا فرق بين قول: يا نبي الله ادع الله لي ، وبين قول: يا نبي الله اشفع لي .

فقول: ادع الله لي هو طلب الشفاعة في الحقيقة لا فرق، واللفظان بابهما واحد ولا فرق بينهما .

وعليه فعبارة (يا فلان ادع الله لي) والمدعو ميتا ، تعتبر كفرا ناقلا عن الملة ومن شك في كونها شركا أكبر فهو كافر، ومن حكم بأنها ليست بكفر فإنه يحكم بكفره ولا يعذر بجهله لأنه يعد ممن صحح الكفر وشك فيه . ألا فليتنبه لهذا القول الخطير وليرعوي من يفتي بأن هذه العبارة ليست بكفر وعليه أن يتأمل الأدلة.

انتهى الكتاب والله أعلم وصلى وسلم على نبينا محمد

الفهرس

الفصل الثاني : الوسائط